

النصح الصائب

لطلاب العلم

بالبعد عن المناصب

وكتبه الفقير إلى عفو ربه:

أبو معاذ حسين الخطيبي اليافعي

مقدمة الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد نبيه ومصطفاه، وعلى آله وأصحابه الدعاة إلى
مرضاة الله، أما بعد:

فهذه رسالة نافعة جمعها أخونا الشيخ المعلم السلفي حسين بن محمود الخطيبي
اليافعي **حفظه الله**، تحمل في طياتها أدلة جمة على نصائح مهمة لطلاب العلم بالبعد عن
الدخول في المناصب، لما فيها من مخالفات وضياع للأوقات، والتأثر بمجالسة صنوف
أهل الأهواء، والسياسة العمياء والجهالات، وقد رأينا و غيرنا من بعض الطلاب
السلفيين الذين صاروا إلى تلك المناصب الدنيوية أن علامات الانحراف عليهم واضحة،
وتغيرات أحوالهم إلى الأسوأ، منهم ظاهرة، لذا وجب النصح - وجزى الله خيرا من بذله
- من الحور بعد الكور الذي استعاذ منه رسول الله **صلى الله عليه وسلم** كما في صحيح مسلم
عن عبد الله بن سرجس **رضي الله عنه**.

فاحذر يا طالب العلم - وفقك الله - تليسات الشيطان، ووسائل الخذيلة والحرمان،
ونسأل الله عز وجل للجميع البصيرة والتوفيق، والعصمة من الفتن، ما ظهر منها وما
بطن.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

كتبه: يحيى بن علي الحجوري

في الثاني عشر من شهر جماد الأول، عام ١٤٣٩ هـ

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَموتنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:

١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَمَنْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ يَفْزَحْ فَزْوَاجَ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الهُدْيِ هُدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَ صَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ أَهْلَ الْحَدِيثِ أَرْكَانَ الشَّرِيعَةِ، وَهَدَمَ بِهِمْ كُلَّ بَدْعَةٍ شَنِيعَةٍ. فَهُمْ أُمَّتَاءُ اللَّهِ مِنْ خَلْقَتِهِ، وَالْوَاسِطَةُ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتِهِ، وَالْمُجْتَهِدُونَ فِي حَفِظِ مِلَّتِهِ. أَنْوَرُهُمْ زَاهِرَةٌ، وَفَضَائِلُهُمْ سَائِرَةٌ، وَأَيَاتُهُمْ بَاهِرَةٌ، وَمَذَاهِبُهُمْ ظَاهِرَةٌ، وَحُجَجُهُمْ قَاهِرَةٌ.

وَكُلُّ فِتْنَةٍ تَتَحَيَّرُ إِلَى هَوَى تَرْجِعُ إِلَيْهِ، أَوْ تَسْتَحْسِنُ رَأْيًا تَعَكْفُ عَلَيْهِ، سِوَى أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، فَإِنَّ الْكِتَابَ عُدَّتِهِمْ، وَالسُّنَّةَ حُجَّتِهِمْ، وَالرَّسُولَ فِتْنَتِهِمْ، وَإِلَيْهِ نَسَبَتُهُمْ، لَا يُعَرِّجُونَ عَلَى الْأَهْوَاءِ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْأَرَءَاءِ، يُقْبَلُ مِنْهُمْ مَا رَوَوْا عَنِ الرَّسُولِ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ عَلَيْهِ وَالْعُدُولُ، حَفَظَةُ الدِّينِ وَخَزَنَتُهُ، وَأَوْعِيَةُ الْعِلْمِ وَحَمَلَتُهُ. إِذَا اخْتَلَفَ فِي حَدِيثٍ، كَانَ إِلَيْهِمُ الرَّجُوعُ، فَمَا حَكَمُوا بِهِ، فَهُوَ الْمَقْبُولُ الْمُسْمُوعُ.

وَمِنْهُمْ كُلُّ عَالِمٍ فَقِيهٍ، وَإِمَامٍ رَفِيعٍ نَبِيهٍ، وَزَاهِدٍ فِي قَبِيلَةٍ، وَمَخْصُوصٍ بِفَضِيلَةٍ، وَقَارِيءٌ مُتَقِنٌ، وَخَطِيبٌ مُحْسِنٌ. وَهُمْ الْجُمْهُورُ الْعَظِيمُ، وَسَبِيلُهُمُ السَّبِيلُ الْمُسْتَقِيمُ.

وَكُلُّ مُبْتَدِعٍ بِاعْتِقَادِهِمْ يَتَّظَاهَرُ، وَعَلَى الْإِفْصَاحِ بِغَيْرِ مَذَاهِبِهِمْ لَا يَتَجَاسَرُ. مَنْ كَادَهُمْ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ عَانَدَهُمْ خَذَهُمُ اللَّهُ. لَا يُضْرُّهُمْ مَنْ خَذَهُمْ، وَلَا يُفْلِحُ مَنْ اعْتَرَكَهُمُ الْمُحْتَاطُ لِدِينِهِ إِلَى إِزْشَادِهِمْ فَقِيرٌ، وَبَصَرُ النَّاطِرِ بِالسُّوءِ إِلَيْهِمْ حَسِيرٌ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ^(١).

أهل الحديث في عز وكرامة، ومكانة عالية لا يرضون بالدنو والإهانة، ولا بالذل والمهانة، ولو أعطوا الدنيا على أن يفارقوا الحديث لما التفتوا إلى ذلك، لما يجدونه من لذة العلم، وسكينة النفس، وطمأنينة القلب، وراحة البال، وهم يتقبلون مع كتب السنة، وأحاديث المصطفى **صلوات الله عليه وسلم**، بل ويرددون آيات الكتاب الحكيم.

و إذا زلَّ بعضهم فرضي بالدنيا عوضاً عن العلم فهو الحرمان بعينه، والانحدار للهاوية.

هذا وقد حصلت خطوب وحروب في بلاد اليمن، وغزى الرافضة الزنادقة معظم بلاد اليمن، فقام الناس بالدفع عن دينهم وأعراضهم ودمائهم وأموالهم، فدفع الله شراً عظيماً عن البلاد وأهلها، وما أن كشفت غمة الرافضة عنا إلا ورأينا بعض طلبة العلم إلى

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (٢٨)، مكتبة ابن تيمية .

الدنيا يهرعون، وللمناصب يتعطشون، وللعلم تاركون، وعلى أبواب السلاطين يترددون، وهذا خطر عظيم، يخشى عليهم منه.

فنصحنا بعضهم سراً وجهاراً، في خطب و محاضرات، ونصح غيرنا بالحرص على العلم والتعليم، والبعد عن الدينا ومناصبها، وبيناً أن ما اختاره الله - سبحانه - لأهل السنة خير من الدنيا وما فيها، كما قال إبراهيم بن أدهم: « لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن عليه لجالدونا عليه بالسيوف ».

وكما قال شيخنا العلامة مقبل الوادعي رحمته الله: لو كان العلم يشتري بالمال لخزنته أمريكا، ومنعت منه المسلمين.

ولكن التوفيق من الله، فأردت في هذه الرسالة المتواضعة^(١) أن أبين خطر هذا المزلق، وأذكر شيئاً من توجيهات الناصحين، وتجربة المجريين، لعل الله أن ينفعنا بها ومن يقرأها، وقد أسميت هذه الرسالة: «النصح الصائب لطلاب العلم بالبعد عن المناصب».

(١) وقد وجدت جماعة من أهل العلم ألفوا في هذا الباب، ومن ذلك:

- رسالة: "ما رواه الأساطين في عدم المجيء للسلاطين"، وهذه الرسالة ينقل منها ابن برجس في رسالة الآتية.
- رسالة: "إزالة التهمة ببيان ما يجوز وما يحرم من مخالطة الظلمة" لابن الأمير الصنعاني، وهي مطبوعة ضمن رسائله.
- رسالة: "رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين" وهي رسالة للشوكاني مطبوعة وعليها تعليقات للعلامة العثيمين
- رسالة: "قطع المراء في حكم الدخول على الأمراء" لعبد السلام بن برجس وهي مطبوعة ضمن رسائله.
- «العواصم والقواصم» لابن الوزير، فقد عقد فصلاً واسعاً في هذا الموضوع.
- رسالة: «التحذير الواصب من اتخاذ العلم سبيلاً للدنيا والمناصب» لأخينا معاذ الزعيم.
- رسالة: «النصيحة المحتومة لقضاة السوء وعلماء الحكومة»، لشيخنا يحيى بن علي الحجوري، وفيها نصائح مفيدة.

وقد جعلتها على فصول عدة، وهذا أوان الشروع في الموضوع، والله المستعان، وعليه التكلان، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه: الفقير إلى عفوره: أبو معاذ حسين الخطيبي اليافعي.

في دار الحديث بصلاح الدين من مدينة عدن - اليمن، حرسها الله وسائر بلاد المسلمين.

ليلة الأحد ١٩ صفر ١٤٣٨ هـ.



الفصل الأول

فضل العلم ومنزلة العلماء

قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

قال ابن القيم رحمه الله: استشهد سبحانه بأولى العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده. وهذا يدل على فضل العلم واهله من وجوه:

أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

والثاني: اقتران شهادتهم بشهادته.

والثالث: اقترانها بشهادة ملائكته.

والرابع: أن في ضمن هذا تركيتهم وتعديلهم فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العُدُول.

والخامس: أنه وصفهم بكونهم أولى العلم وهذا يدل على اختصاصهم به وأنهم أهله وأصحابه ليس بمستعار لهم.

والسادس: أنه سبحانه استشهد بنفسه وهو أجل شاهد ثم يخيار خلقه وهم ملائكته والعلماء من عباده ويكفيهم بهذا فضلا وشرفا.

والسابع: أنه استشهد بهم على أجل مشهود به وأعظمه وأكبره وهو شهادة أن لا إله إلا الله والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم.

والثامن: أنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهنيه الدالة على توحيده.

والتاسع: أنه سبحانه أفرَد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه ومن ملائكته ومنهم ولم يعطف شهادتهم بفعل آخر غير شهادته وهذا يدل على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته فكانه سبحانه شهد لنفسه بالتوحيد على ألسنتهم وأنطقهم بهذه الشهادة فكان هو الشاهد بها لنفسه إقامة وإنطاقا وتعلما وهم الشاهدون بها له إقرارا واعترافا وتصديقا وإيمانا.

والعاشر: أنه سبحانه جعلهم مؤدين لحقه عند عباده بهذه الشهادة فإذا أدوها فقد أدوا الحق المشهود به فثبت الحق المشهود به فوجب على الخلق الإقرار به وكان ذلك غاية سعادتهم في معاشهم ومعادهم وكل من ناله الهدى بشهادتهم وأقر بهذا الحق بسبب شهادتهم فلهم من الأجر مثل أجره وهذا فضل عظيم لا يدرى قدره إلا الله، وكذلك كل من شهد بها عن شهادتهم فلهم من الأجر مثل أجره أيضا فهذه عشرة أوجه في هذه الآية.

ومن أدلة فضل العلم وأهله قوله ﷺ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر]، ففني التسوية بين أهل العلم وغيرهم، وهذا يدل على غاية فضلهم وشرفهم.

ويقول الله ﷻ: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩]، فجعل سبحانه الجهلة بمنزلة العميان الذين لا يبصرون، فماتم إلا عالم أو أعمى.

ويقول ﷻ: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]، فهذا ثناء عليهم بمعرفة الحق المنزل من عند الله ﷻ

ولفضلهم أمر الله ﷻ - بالرجوع إليهم وسؤالهم، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ، فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) [النحل: ٤٣].

وبين الله أن أهل العلم هم الذين يحفظون آيات الله في صدورهم ويعونها كما أراد الله، فقال ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ (٤٧) ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (٤٩) [العنكبوت: ٤٧ - ٤٩].

ورفع الله درجاتهم وأعلى منزلتهم فقال ﷻ: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١) [المجادلة: ١١].

وأهل العلم أثنى الله عليهم أنهم أهل الخشية، الكاملة، وفي مقدمتهم أنبياء الله ورسله، فقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُحِصِّي اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢٨) [فاطر: ٢٨].
فهم أهل الخشية وهم أهل البصيرة، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَظَرٍ لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٤٣) [العنكبوت: ٤٣].

وما أكرموا به من خير هو من الله الكريم الوهاب، فهو القائل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٣١) [البقرة: ٢٦٩].

وقال تعالى عن نبيه: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (١١٣) [النساء: ١١٣].

ثم إن العلم نور وحياة، والجهل موت وظلمة، قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٢) [الأنعام: ١٢٢].

والعلم يهذب الأخلاق ويصلحها، ففي "الصحيحين" عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالأَثْرَجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالْتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلَا رِيحَ لَهَا" (١).

وكان أول أمر إلهي لنبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الأمر بالقراءة وتذكره نعمة العلم التي أنعم بها عليه، حيث قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ [العلق].

والخير كل الخير في الفقه في دين الله - سبحانه - ، ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»، متفق عليه عن معاوية رضي الله عنه ، ورواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه ، وفي البخاري عن عثمان رضي الله عنه ، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» ، وفي رواية: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

وجعل الله العلماء ورثة الأنبياء، لعلو مكانتهم، وعظيم منزلتهم، كما في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، عند الترمذي وأبي داود، والعلم سبيل يوصل إلى الجنة، ولهذا جاء في

(١) البخاري (٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).

"مسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ».^(١)

وما وضعت الملائكة أجنتها إلا لمبتغي العلم وطالبه، كما ثبت عن أبي الدرداء رضي الله عنه عند "الترمذي"، وصفوان بن عسال رضي الله عنه عند "أحمد" وغيره.

هذا وفضائل العلم ومكانة العلماء لا يحصره قلم كاتب، وهي أوسع من ذلك، بكثير، وما أحسن ما صدره ابن القيم رحمه الله في كتابه: "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة" في هذا الباب، وما ذكرناه مقتطفات من مقدمة، كتابه العظيم.

ونسأل الله أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يحبب إلينا طلب العلم والاستمرار فيه والبعد عن كل الصوارف التي تبعد طالب العلم عنه، أنه ولي ذلك والقادر عليه.



(١) مسلم: (٢٦٩٩).

الفصل الثاني

فتنة الدنيا وحطامها

إن من أكبر العوائق عن الخير والاستمرار فيه هو حب الدنيا والتعلق بها والخلود إلى ملذاتها الفانية، وهي من أشد المفرات لشمل طلاب العلم.

ولهذا قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ).^(١)

و ما انحرف من انحرف في الغالب إلا من أجل الدنيا وإن أظهر الأعذار الواهية.

فكم دقت ورقت واسترقت فضول الرزق أعناق الرجال

وروى الطبراني، عن عوف بن مالك **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: قام رسول الله - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - في أصحابه فقال: "ألفقر تخافون أو العوز، أم تهتمكم الدنيا؟ فإن الله فاتح عليكم فارس والروم، وتصب عليكم الدنيا صباً حتى لا يُزيغكم بعدي إن أزاغكم إلا هي"^(٢).

وعند "أحمد" و"ابن أبي عاصم" عن أبي بَرزَةَ الأَسْلَمِيِّ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: "إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ بَعْدِي بُطُونَكُمْ وَفُرُوجَكُمْ وَمُضِلَاتِ الْأَهْوَاءِ". صححه الألباني في "ضلال الجنة"^(٣).

(١) رواه أحمد وابن ماجه، وهو في "الصحيح المسند" لشيخنا الإمام الوادعي (٣٥١).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب للعلامة الألباني رحمه الله تعالى برقم (٣٢٥٧).

(٣) "ضلال الجنة" (٣٠).

وفي حديث عمرو بن عوف الأنصاري **رضي الله عنه**، أنه قال: بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بهال من البحرين، فسمعت الأنصار يقدم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع النبي **صلى الله عليه وسلم**، فلما انصرف تعرضوا له، فبسم رسول الله **صلى الله عليه وسلم** حين رأيهم، ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء».

قالوا: أجل يا رسول الله، قال: «فأبشروا وأمّلوا ما يسرّكم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتتأفسوها كما تتأفسوها، وتهلككم كما أهلكنهم»^(١).

ويقول الله **ﷻ**: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

قال ابن القيم **رحمه الله**:

فشبهه سبحانه من آتاه كتابه وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به، واتبع هواه وأثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق؛ بالكلب الذي هو من أخبث الحيوانات، وأوضعها قدرا، وأحسها نفسا، وهمته لا تتعدى بطنه، وأشدّها شرها وحرضا، ومن حرصه أنه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشمم ويستروح حرصا وشرها، ولا يزال يشم دبره دون سائر أجزائه، وإذا رميت إليه بحجر رجع إليه ليعضه من فرط مهمته، وهو من أمهن الحيوانات، وأحملها للهوان، وأرضاها بالدنايا، والحيف القدرة

(١) البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٢٩٦١).

الرُّوحَةُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ الطَّرِيِّ، وَالْعُذْرَةُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْحَلْوَى، وَإِذَا ظَفِرَ بِمَيْتَةٍ تَكْفِي مِائَةَ كَلْبٍ لَمْ يَدْعُ كَلْبًا وَاحِدًا يَتَنَاوَلُ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا هَرَّ عَلَيْهِ وَقَهَرَهُ لِحِرْصِهِ وَيُخْلِهِ وَشَرِّهِ.

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِ وَحِرْصِهِ أَنَّهُ إِذَا رَأَى ذَا هَيْئَةٍ رَثَّةٍ وَثِيَابٍ دَنِيَّةٍ وَحَالٍ زَرِيَّةٍ نَبَحَهُ وَحَمَلَ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ يَتَصَوَّرُ مُشَارَكَتَهُ لَهُ وَمُنَازَعَتَهُ فِي قُوَّتِهِ، وَإِذَا رَأَى ذَا هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ وَثِيَابٍ جَمِيلَةٍ وَرِيَاسَةٍ وَضَعَهُ خَطْمَهُ بِالْأَرْضِ، وَخَضَعَ لَهُ، وَلَمْ يَرْفَعْ إِلَيْهِ رَأْسَهُ.

وَفِي تَشْبِيهِهِ مَنْ أَتَرَ الدُّنْيَا وَعَاجَلَهَا عَلَى اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ مَعَ وُفُورِ عِلْمِهِ بِالْكَلْبِ فِي حَالِ هَيْئَةٍ سَرٍّ بَدِيعٍ، وَهُوَ أَنَّ هَذَا الَّذِي حَالُهُ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ مِنْ أُنْسِلَاحِهِ مِنْ آيَاتِهِ وَاتِّبَاعِهِ هَوَاهُ إِنَّمَا كَانَ لِشِدَّةِ هَفْهِ عَلَى الدُّنْيَا لِانْقِطَاعِ قَلْبِهِ عَنِ اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ فَهُوَ شَدِيدُ اللَّهْفِ عَلَيْهَا، وَهَفْهُ نَظِيرُ هَفْفِ الْكَلْبِ الدَّائِمِ فِي حَالِ إِزْعَاجِهِ وَتَرَكِّهِ، وَاللَّهْفُ وَاللَّهْتُ شَقِيقَانِ وَأَخَوَانِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى. اهـ إلى آخر كلامه ﷺ، من "إعلام الموقعين" (١).

و قال ﷺ: فَهَذَا مِثْلُ عَالَمِ السُّوءِ الَّذِي يَعْمَلُ بِخِلَافِ عِلْمِهِ، وَتَأْمَلُ مَا تَضَمَّتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ ذَمِّهِ وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ ضَلَّ بَعْدَ الْعِلْمِ.

وَأُخْرَاهَا: أَنَّهُ فَارَقَ الْإِيمَانَ مُفَارَقَةً مِنْ لَا يَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا فَإِنَّهُ أَنْسَلَخَ مِنَ الْآيَاتِ بِالْجُمْلَةِ كَمَا تَنْسَلِخُ الْحَيَّةُ مِنْ قَشْرِهَا.

وَأُخْرَاهَا: أَنَّ الشَّيْطَانَ أَدْرَكَهُ وَلَحِقَهُ بِحَيْثُ ظَفَرَ بِهِ وَافْتَرَسَهُ وَهَذَا قَالَ فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ وَلَمْ يَقْلُ تَبِعَهُ.

وَأُخْرَاهَا: أَنَّهُ غَوِيَ بَعْدَ الرُّشْدِ وَالْغِيِّ الضَّلَالِ فِي الْعِلْمِ وَالْقَصْدِ.

(١) "إعلام الموقعين" (١/٢١٦).

- وخامسها:** لم يرفع بِالْعِلْمِ بل صَارَ وبالا عَلَيْهِ، فالجهل كان خيرا له.
- وسادسها:** أنه سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عَنْ خِصَّةِ هِمَّتِهِ وَأَنَّهُ اخْتَارَ الْأَسْفَلَ عَلَى الْأَعْلَى.
- وسابعها:** أنْ خَلُودَهُ إِلَى الْأَرْضِ حَمَلَهُ عَلَى الْاِخْتِيَارِ الْاِسْفَلَ الْأَدْنَى.
- وثامنها:** اتَّبَعَ الْهَوَى وَرَغِبَ عَنِ الْهُدَى، وَ صَارَ إِلَهُهُ هَوَاهُ.
- وتاسعها:** تشبيهه بالكلب الَّذِي هُوَ أَحْسَرُ الْحَيَوَانَاتِ.
- وعاشرها:** شَبَّهَ لَهْتَهُ عَلَى الدُّنْيَا وَعَدَمَ صَبْرِهِ عَنْهَا بِلَهْثِ الْكَلْبِ.
- انتهى باختصار من " الفوائد" (١٠١).

لهذا فإني أحذر إخواني السلفيين عامة وطلبة العلم خاصة من فتنة الدنيا، فكم فرقت بيننا وبين أحبة لنا، كانوا يسировون على طريقتنا وينهجون بمنهجنا، ففتنوا بها فأصبح المعروف عندهم منكرا، والمنكر معروفا، اعتزلوا مجالس أهل الحق، وصاروا يجالسون أهل الدنيا والمناصب، ونسوا أو تناسوا قول الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ﴿٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

فوالله لخلقات العلم والصبر على تحصيل العلم فيها خير من الدنيا وكنوزها ومناصبها، لمن عرف الأمر على حقيقته.

ولو كانت الدنيا مكرمة لأكرم بها نبيه وخليه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

فالله عباد الله في الحذر من مزالق الشيطان عن طريق الدنيا وحطامها، والإقبال على ما ينفع يوم المعاد.

إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا فُطُنَّا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَةَ

نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَتَمَّا لَيْسَتْ لِحِيٍّ وَطَنًا
جَعَلُوهَا جُتَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحِ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُنُنًا

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّتَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤].

فهذه حال الدنيا الفانية، نسأل الله السلامة والعافية.



الفصل الثالث

الأحاديث الواردة في ذم الولايات والقرب من أهلها ومخالطتهم

الحديث الأول:

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا».^(١)

قال النووي رحمته الله في شرح مسلم^(٢) - تحت الحديث -:

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَوَائِدٌ مِنْهَا:

كَرَاهَةُ سُؤَالِ الْوِلَايَةِ سِوَاءَ وِلَايَةِ الْإِمَارَةِ وَالْقَضَاءِ وَالْحِسْبَةِ وَغَيْرِهَا.

وَمِنْهَا بَيَانٌ أَنَّ مَنْ سَأَلَ الْوِلَايَةَ لَا يَكُونُ مَعَهُ إِعَانَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا تَكُونُ فِيهِ كِفَايَةٌ لِدَلِكِ الْعَمَلِ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُؤْتَى وَهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا نُؤْتِي عَمَلَنَا مَنْ طَلَبَهُ أَوْ حَرَصَ عَلَيْهِ».

قال ابن الملقن رحمته الله في "شرح العمدة" - بعد أن ذكر اختلاف الفقهاء في تولي الإمارة

: -

(١) البخاري (٦٦٢٢)، وسلم (١٦٥٢).

(٢) "شرح مسلم" (٢٨٠/١١).

وبالجملة فقد امتنع من الدخول فيه الشافعي حين استدعاه المأمون ليوليه قضاء الشرق والغرب واقتدى به الصدر الأول من أصحابه حتى أن أبا علي بن خيران لما طلب للقضاء هرب فختم على عقاره، وامتنع منه أيضًا أبو حنيفة حين استدعاه المنصور له فضربه وحبسه ثم أطلقه.

وقيل: إن أبا حنيفة ولي القضاء بالرصافة أيامًا والشافعي وليه بنجران من بلاد اليمن أيامًا ولا يصح دخول معظم السلف من الصدر الأول فيه كان لعلمهم يقينًا أو ظنًا بالقيام به لله لا لشيء من حظوظ الدنيا ووجود من يعينهم على الحق، وامتناع الصدر الثاني والثالث لما فيه من الخطر وعدم براءة الذمة فيه وتحيلوا على الامتناع منه بأسباب توهم الجنون أو قلة المروءة وارتكبوا ذلك للخلاص من المحرم أو المكروه.^(١)

وانظر: "فتح الباري"^(٢).

(١) "شرح العمدة لابن ملقن" (٩/٢٤٤).

(٢) "فتح الباري" (١٣/١٥٤-١٥٥).

الحديث الثاني:

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَرَجُلَانِ مِنْ قَوْمِي، فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: أَمَرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَالَ الْآخَرُ مِثْلَهُ، فَقَالَ: «إِنَّا لَا نُؤَيُّ هَذَا مِنْ سَأَلَهُ، وَلَا مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ»^(١).

قال النووي رحمه الله تحت الحديث:

وَالْحِكْمَةُ فِي أَنَّهُ لَا يُؤَيُّ مَنْ سَأَلَ الْوِلَايَةَ أَنَّهُ يُوَكَّلُ إِلَيْهَا وَلَا تَكُونُ مَعَهُ إِعَانَةٌ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ السَّابِقِ وَإِذَا لَمْ تَكُنْ مَعَهُ إِعَانَةٌ لَمْ يَكُنْ كُفْتًا وَلَا يُؤَيُّ غَيْرُ الْكُفِّ وَلَا أَنْ فِيهِ تَهْمَةٌ لِلطَّلَبِ وَالْحَرِيصِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ.

وقال المحافظ ابن حجر رحمه الله^(٢):

قَالَ الْمُهَلَّبُ لَمَّا كَانَ طَلَبُ الْعِمَالَةِ دَلِيلًا عَلَى الْحَرَصِ ابْتِغَايَ أَنْ يُحْتَرَسَ مِنْ الْحَرِيصِ فَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ مَنَعُ تَوَلِّيَةِ مَنْ يَحْرُصُ عَلَى الْوِلَايَةِ إِمَّا عَلَى سَبِيلِ التَّحْرِيمِ أَوْ الْكِرَاهَةِ وَإِلَى التَّحْرِيمِ جَنَحَ الْقُرْطُبِيُّ وَلَكِنْ يُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ مَنْ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ.

وقال المحافظ رحمه الله في "الفتح":

قَالَ الْمُهَلَّبُ الْحَرُصُ عَلَى الْوِلَايَةِ هُوَ السَّبَبُ فِي افْتِتَالِ النَّاسِ عَلَيْهَا حَتَّى سَفِكَتِ الدِّمَاءُ وَاسْتَبِيحَتْ الْأَمْوَالُ وَالْفُرُوجُ وَعَظُمَ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ بِذَلِكَ وَوَجْهُ النَّدَمِ أَنَّهُ قَدْ يُقْتَلُ أَوْ

(١) البخاري (٢٢٦١) و (٧١٤٩) ومسلم (١٧٣٣).

(٢) الفتح (٥٥٧/٤).

يُعَزَّلُ أَوْ يَمُوتُ فَيَنْدَمُ عَلَى الدُّخُولِ فِيهَا لِأَنَّهُ يُطَالَبُ بِالتَّعَاتِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا وَقَدْ فَاتَهُ مَا حَرَصَ عَلَيْهِ بِمُفَارَقَتِهِ.

قَالَ وَيُسْتَتْنَى مِنْ ذَلِكَ مَنْ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ كَأَن يَمُوتَ الْوَالِي وَلَا يُوجَدُ بَعْدَهُ مَنْ يَقُومُ بِالْأَمْرِ غَيْرُهُ وَإِذَا لَمْ يَدْخُلْ فِي ذَلِكَ يَحْضَلُ الْفَسَادُ بِضَيَاعِ الْأَحْوَالِ قُلْتُ وَهَذَا لَا يُجَالِفُ مَا فُرِضَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي قَبْلَهُ مِنَ الْحُصُولِ بِالطَّلَبِ أَوْ بِغَيْرِ طَلَبٍ بَلْ فِي التَّعْيِيرِ بِالْحِرْصِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَنْ قَامَ بِالْأَمْرِ عِنْدَ خَشْيَةِ الضَّيَاعِ يَكُونُ كَمَنْ أُعْطِيَ بِغَيْرِ سُؤَالٍ لِفَقْدِ الْحِرْصِ غَالِبًا عَمَّنْ هَذَا شَأْنُهُ وَقَدْ يُغْتَفَرُ الْحِرْصُ فِي حَقِّ مَنْ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ لِكَوْنِهِ يَصِيرُ وَاجِبًا عَلَيْهِ وَتَوَلِيَّةُ الْقَضَاءِ عَلَى الْإِمَامِ فَرُضٌ عَيْنٌ وَعَلَى الْقَاضِي فَرُضٌ كِفَايَةٌ إِذَا كَانَ هُنَاكَ غَيْرُهُ^(١).

(١) فتح الباري (١٣/١٥٧).

الحديث الثالث :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الْأَمْرِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ. ^(١)

قال الإمام النووي رحمه الله تحت الحديث :

قَالَ الْقَاضِي: يُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْإِسْلَامُ كَمَا كَانَ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَعِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ وَسَهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَغَيْرِهِ مِنْ مَسْلَمَةِ الْفَتْحِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ كَانَ يَكْرَهُ الْإِسْلَامَ كَرَاهِيَةً شَدِيدَةً لَمَّا دَخَلَ فِيهِ أَخْلَصَ وَأَحَبَّهُ وَجَاهَدَ فِيهِ حَقَّ جِهَادِهِ قَالَ وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَمْرِ فِي ذِي الْوَجْهَيْنِ هُنَا الْوَلَايَاتُ لِأَنَّهُ إِذَا أُعْطِيهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِينَ عَلَيْهَا. اهـ.

وقال المحافظ رحمه الله في "الفتح" ^(٢):

أَيُّ الْوَلَايَةِ وَالْإِمْرَةِ وَقَوْلُهُ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً أَيُّ أَنَّ الدُّخُولَ فِي عَهْدَةِ الْإِمْرَةِ مَكْرُوهٌ مِنْ جِهَةِ تَحْمُلِ الْمَشَقَّةِ فِيهِ وَإِنَّمَا تَشْتَدُّ الْكِرَاهَةُ لَهُ مِمَّنْ يَتَّصِفُ بِالْعَقْلِ وَالدِّينِ لَمَّا فِيهِ مِنْ صُعُوبَةِ الْعَمَلِ بِالْعَدْلِ وَحَمْلِ النَّاسِ عَلَى رَفْعِ الظُّلْمِ وَلَمَّا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ مُطَالَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْقَائِمِ بِهِ مِنْ حُقُوقِهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ... اهـ المراد.

(١) البخاري (٣٤٩٣)، و(٣٤٩٦)، ومسلم (٢٥٢٦).

(٢) الفتح (٦٤٨/٦).

الحديث الرابع:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنِعْمَ الْمَرْضِعَةُ وَبُسْتِ الْفَاطِمَةُ»^(١)

قال النووي رحمه الله:

وَأَمَّا الْحَزْبِيُّ وَالنَّدَامَةُ فَهُوَ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لَهَا أَوْ كَانَ أَهْلًا وَلَمْ يَعِدِلْ فِيهَا فَيَحْزِيهِ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَفْضَحُهُ وَيَنْدِمُ عَلَى مَا فَرَطَ وَأَمَّا مَنْ كَانَ أَهْلًا لِلْوِلَايَةِ وَعَدَلَ فِيهَا فَلَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ تَظَاهَرَتْ بِهَا الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ كَحَدِيثِ سَبْعَةِ يُظَلِّهُمُ اللَّهُ وَالْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ هُنَا عَقِبَ هَذَا أَنَّ الْمُقْسِطِينَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ مُنْعَقِدٌ عَلَيْهِ وَمَعَ هَذَا فَلِكَثْرَةِ الْخَطَرِ فِيهَا حَذَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا وَكَذَا حَذَرَ الْعُلَمَاءُ وَامْتَنَعَ مِنْهَا خَلَائِقُ مِنَ السَّلَفِ وَصَبَرُوا عَلَى الْأَذَى حِينَ امْتَنَعُوا. اهـ^(٢)

وقوله: «فَنِعْمَ الْمَرْضِعَةُ وَبُسْتِ الْفَاطِمَةُ»: قَالَ الدَّوْدِيُّ: نِعْمَ الْمَرْضِعَةُ أَي فِي الدُّنْيَا، وَبُسْتِ الْفَاطِمَةُ أَي بَعْدَ الْمَوْتِ، لِأَنَّهُ يَصِيرُ إِلَى الْمُحَاسَبَةِ عَلَى ذَلِكَ، فَهُوَ كَالَّذِي يُفْطَمُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَغْنِي، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ هَلَاكُهُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: نِعْمَ الْمَرْضِعَةُ لِمَا فِيهَا مِنْ حُصُولِ الْجَاهِ وَالْمَالِ وَنَفَازِ الْكَلِمَةِ وَتَحْصِيلِ اللَّذَاتِ الْحَسِّيَّةِ وَالْوَهْمِيَّةِ حَالَ حُصُولِهَا، وَبُسْتِ الْفَاطِمَةُ عِنْدَ الْإِنْفِصَالِ عَنْهَا بِمَوْتِ أَوْ غَيْرِهِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ التَّبِعَاتِ فِي الْآخِرَةِ.^(٣)

تنبيه:

(١) رواه البخاري (٧١٤٨) ..

(٢) تحت حديث (١٨٢٦) .

(٣) فتح الباري تحت حديث (٧١٤٨) .

ألحقت التاء في «بئست» دون «نعم» والحكم فيها إذا كانا فاعلها مؤنثا جواز الإلحاق وتركه، فوقع التفنن في هذا الحديث بحسب ذلك.

وَقَالَ الطَّبِيُّ: إِنَّمَا لَمْ يُلْحِقْهَا بِنَعْمَ لِأَنَّ الْمُرْضِعَةَ مُسْتَعَارَةٌ لِلْإِمَارَةِ، وَتَأْنِيثُهَا غَيْرُ حَقِيقِيٍّ، فَتَرَكُ الْخَاتِمَ بِهَا، وَإِلْحَاقُهَا بِئَسَ نَظْرًا إِلَى كَوْنِ الْإِمَارَةِ حِينِيذٍ دَاهِيَةً دَهِيَاءَ، قَالَ وَإِنَّمَا أُبَيِّ بِالْتَّاءِ فِي الْفَاطِمَةِ وَالْمُرْضِعَةِ إِشَارَةً إِلَى تَصْوِيرِ تَيْنِكَ الْحَالَتَيْنِ الْمُتَجَدِّدَتَيْنِ فِي الْإِرْضَاعِ وَالْفِطَامِ. اهـ^(١)

(١) فتح الباري (١٣/١٥٦).

الحديث الخامس :

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا».^(١)

وفي رواية : قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمُرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ».^(٢)

قال النووي رحمه الله:

هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي اجْتِنَابِ الْوَلَايَاتِ لَا سِيَّمَا لِمَنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ عَنِ الْقِيَامِ بِوُظَائِفِ تِلْكَ الْوَلَايَةِ. اهـ

(١) مسلم: (١٨٢٥).

(٢) مسلم: (١٨٢٦).

الحديث السادس:

عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ دَخَلَ، وَنَحْنُ تِسْعَةٌ وَبَيْنَنَا وَسَادَةٌ مِنْ أَدَمَ فَقَالَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يَكْذِبُونَ وَيَظْلِمُونَ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ، فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَيُعِنْتَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الْحَوْضَ»^(١).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ أُعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ" قَالَ: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "أُمَرَاءُ سَيَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ، فَصَدَّقَهُمْ بِحَدِيثِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَرِدُوا عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِحَدِيثِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْتَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُمْ، وَأُولَئِكَ يَرِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، الصَّلَاةُ قُرْبَانٌ، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْحَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ. يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لِحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ". يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ، فَعَادٍ بَائِعٌ نَفْسَهُ، وَمُؤَبِقٌ رَقَبَتَهُ، وَعَادٍ مُبْتَاعٌ نَفْسَهُ، وَمُعْتِقٌ رَقَبَتَهُ»^(٢).

(١) أحمد (١٨١٢٦)، والترمذي (٢٢٥٩)، وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" لشبخنا

العلامة الوادعي (١٤٨/٢)، وكذا صححه العلامة الألباني.

(٢) رواه أحمد: (١٥٢٨٤).

الحديث السابع:

روى الديلمي (١ / ٢ / ٣٤٥) من طريق الطبراني، وابن منده في "المعرفة".

(٢ / ٦٢ / ٢) وابن عساكر (١٣ / ٢٣٢ / ١) عن عبيد بن يعيش حدثنا محمد بن فضيل عن إسماعيل عن قيس عن أبي الأعور السلمي مرفوعا به: " إياكم وأبواب السلطان، فإنه قد أصبح صعبا هبوطا ".

ثم رواه ابن منده من طريق يحيى بن زكريا عن إسماعيل به. اهـ

قلت: وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، وأبو الأعور اسمه عمرو بن سفيان وهو مختلف فيه كما قال ابن عساكر لكن أثبتت صحبته جمع منهم الإمام مسلم.

(هبوطا) أي ذلاً. في " النهاية ": فيه: " اللهم غبطا لا هبطا "، أي نسألك الغبطة ونعوذ بك من الذل والانحطاط والنزول. يقال: هبط هبوطا وأهبط غيره ". اهـ من "السلسلة الصحيحة" للعلامة الألباني رحمته الله.^(١)

(١) (٢٥٢ / ٣) حديث رقم (١٢٥٣).

الحديث الثامن

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: " وَيُلُّ لِلْأَمْرَاءِ، وَيُلُّ لِلْعُرَفَاءِ، وَيُلُّ لِلْأَمْنَاءِ، لِيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ ذَوَابَّهُمْ كَانَتْ مُعَلَّقَةً بِالثُّرَيَّا، يَتَدَبَّدِبُونَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَمْ يَكُونُوا عَمِلُوا عَلَى شَيْءٍ"^(١).

وفي رواية: « وَيُلُّ لِلْأَمْرَاءِ وَيُلُّ لِلْعُرَفَاءِ وَيُلُّ لِلْأَمْنَاءِ لِيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ ذَوَابَّهُمْ كَانَتْ مُعَلَّقَةً بِالثُّرَيَّا يَدُلْدُلُونَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَأَنَّهُمْ لَمْ يَلُوا عَمَلًا »^(٢).

وفي رواية: « لِيُوشِكُ رَجُلٌ أَنْ يَتَمَنَّى أَنَّهُ خَرَّ مِنَ الثُّرَيَّا وَلَمْ يَلِ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئًا »^(٣).

قال الشوكاني رحمه الله في "نيل الأوطار":

وَسَبَبُ الْوَعِيدِ هَذِهِ الطَّوَائِفِ الثَّلَاثِ وَهُمْ الْأَمْرَاءُ وَالْعُرَفَاءُ وَالْأَمْنَاءُ أَنَّهُمْ يَقْبَلُونَ وَيُطَاعُونَ فِيمَا يَأْتُونَ بِهِ فَإِذَا جَارُوا عَلَى الرَّعَايَا جَارُوا وَهُمْ قَادِرُونَ فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِتَشْدِيدِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ حَقَّ شُكْرِ النِّعْمَةِ الَّتِي امْتَأَزُوا بِهَا عَلَى غَيْرِهِمْ أَنْ يَعْدِلُوا وَيَسْتَعْمِلُوا الشَّفَقَةَ وَالرَّأْفَةَ.^(٤)

(١) رواه "أحمد" (٨٦٢٧)، وهو في "صحيح الترغيب والترهيب" (٧٨٨)، و"الصحيححة" (٢٦٢٠)،

و"الصحيح الجامع" (٣٧٣٣).

(٢) رواه ابن حبان (٤٤٨٣)، الحاكم (٧٠١٦)، وهو في "صحيح الترغيب والترهيب" (٧٨٩).

(٣) في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢١٨٠).

(٤) النيل (٤٢٣/١٥).

وقال الطيبي: قوله: «والعرفاء في النار» ظاهرٌ أُقيمَ مقامَ الضميرِ يُشعرُ بأنَّ العرفاءَ على خطرٍ ومنَ باشرها غيرُ آمنٍ من الوقوعِ في المحذورِ المُفضي إلى العذابِ فهو كقوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا } ، فينبغي للعاقِلِ أن يكونَ على حذرٍ منها لئلا يتورطَ فيما يؤديه إلى النارِ.

قلتُ: ويؤيدُ هذا التَّأويلَ الحديثُ الآخرُ حيثُ توعدَّ الأُمراءَ بما توعدَّ به العرفاءُ فدَلَّ على أنَّ المرادَ بذلكِ الإشارةُ إلى أنَّ كلَّ مَنْ يدخلُ في ذلكِ لا يسلمُ وأنَّ الكلَّ على خطرٍ والاستثناءُ مُقدَّرٌ في الجميعِ. اهـ من "فتح الباري" (١).

(١) "فتح الباري" تحت حديث - (٦٦٤١).

الحديث التاسع:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُقَرَّبُونَ شَرَارَ النَّاسِ، وَيُؤَخَّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَلَا يَكُونَنَّ عَرِيفًا وَلَا شُرْطِيًّا وَلَا جَابِيًا وَلَا خَازِنًا".

رواه ابن حبان (٤٥٨٦)، وهو في "صحيح الترغيب" (٧٩٠)، و"السلسلة الصحيحة" للألباني رحمته الله (٣٦٠).

ورواه الطبراني في "المعجم الصغير" ص (١١٧) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحده.

الحديث العاشر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشْرَةَ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُوبًا، لَا يَفُكُّهُ إِلَّا الْعَدْلُ، أَوْ يُوقَهُ الْجُورُ " .

رواه أحمد: (٩٥٧٣)، ورواه أيضا: (٢٢٤٦٣) عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه الطبراني في الأوسط (١/١٩٩/١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في صحيح الترغيب والترهيب" (٢١٩٨) و(٢١٩٩)، و(٢٢٠٠)، و(٢٢٠١)، وفي "السلسلة الصحيحة" (٢٦٢١).

الحديث الحادي عشر:

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ أَنْبَأْتُكُمْ عَنِ الْإِمَارَةِ وَمَا هِيَ؟»، فَقُمْتُ فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: «أَوَّلُهَا مَلَامَةٌ، وَثَانِيهَا نَدَامَةٌ، وَثَالِثُهَا عَذَابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ عَدَلَ وَكَيْفَ يَعْدُلُ مَعَ أَقْرَبِيهِ؟».

رواه البزار (٢٧٥٦)، والطبراني في الأوسط (٦٨٥١)، (٦٨٩١)، وكذا في "الكبير"، وهو في صحيح الترغيب والترهيب" (٢١٧٣)، وهو في "السلسلة الصحيحة" (١٥٦٢).

الحديث الثاني عشر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ شَرِيكٌ: لَا أَذْرِي رَفَعَهُ أُمُّ لَا قَالَ: «الإِمَارَةُ أَوْلَاهَا نَدَامَةٌ، وَأَوْسَطُهَا غَرَامَةٌ، وَأَخْرُهَا عَذَابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

رواه الطبراني في "الأوسط" (٥٦١٦)، وهو في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢١٧٤).

الحديث الثالث عشر:

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا ذُئِبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدِهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» .

رواه "الترمذي" ، وصححه العلامة الألباني، وهو في "الصحيح المسند" للعلامة الوادعي^(١).

من أحسن من شرح هذا الحديث الحافظ ابن رجب **مرحمه الله** حيث شرحه برسالة مستقلة فيها فوائد عظيمة نقل بعض ما نحتاج إليه.

يقول **مرحمه الله**:

وَأَمَّا حِرْصُ الْمَرْءِ عَلَى الشَّرَفِ فَهَذَا أَشَدُّ هَلَاكًا مِنْ الْحِرْصِ عَلَى الْمَالِ فَإِنَّ طَلَبَ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالرَّفْعَةَ فِيهَا، وَالرِّيَاسَةَ عَلَى النَّاسِ وَالْعُلُوَّ فِي الْأَرْضِ أَضُرُّ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ طَلَبِ الْمَالِ، وَضُرُّهُ أَعْظَمُ، وَالزَّهْدُ فِيهِ أَصْعَبُ، فَإِنَّ الْمَالَ يَبْذُلُ فِي طَلَبِ الرِّيَاسَةِ وَالشَّرَفِ.

والحِرْصُ عَلَى الشَّرَفِ عَلَى قَسْمَيْنِ:

أحدهما: طَلَبُ الشَّرَفِ بِالْوِلَايَةِ وَالسُّلْطَانِ وَالْمَالِ.

وهذا خطرٌ جدٌّ، وهو الغالب، يَمْنَعُ خَيْرَ الْآخِرَةِ وَشَرَفَهَا وَكَرَامَتَهَا وَعِزَّهَا.

قال الله تعالى: { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ... } الآية.

(١) الترمذي (٢٣٧٦)، و"الصحيح المسند" (١٥١/٢).

وقلَّ مَنْ يَحْرُصُ عَلَى رِيَاةِ الدُّنْيَا بِطَلْبِ الْوَلَايَاتِ فَوْقَ؛ بَلْ يُوَكَّلُ إِلَى نَفْسِهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ: "يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِّلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعْنَتَ عَلَيْهَا".

قال بعض السلف: ما حرص أحد على ولاية فعدل فيها.

وكان يزيد بن عبد الله بن وهب من قضاة العدل والصالحين، وكان يقول: من أحبَّ المالَ والشرفَ وخافَ الدوائرَ لم يعدلْ فيها.

ثم ذكر حديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، صحيح البخاري عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعمت المرزعة وبئست الفاطمة»، وحديث أبي موسى الأشعري: «إنا لا نؤتي أمرنا هذا من سألنا، ولا من حرص عليه». ثم قال:

واعلم أن الحرص على الشرف يستلزم شرًا عظيمًا قبل وقوعه في السعي في أسبابه، وبعد وقوعه بالخطر العظيم الذي يقع فيه صاحب الولاية من الظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد.

ثم نقل كلامًا جميلًا عن الأجرى في أخلاق العلماء لعلنا ننقل منه في موضعه. ثم قال:

ومن دقيق آفات حُبِّ الشرف: طلب الولايات والحرص عليها، وهو باب غامض لا يعرفه إلا العلماء بالله، العارفون به المحبون له، الذين يعادون له من جهال خلقه المراحين لرؤوبيته وإلهيته، مع حقارتهم وسقوط منزلتهم عند الله، وعند خواص عباده العارفين به.

... إلى أن قال: واعلم أن حُبَّ الشرف بالحرص على نفوذ الأمر والنهي وتدبير أمر الناس، إذا قصد بذلك مجرد علو المنزلة على الخلق والتعظيم عليهم، وإظهار صاحب هذا الشرف حاجة الناس إليه وافتقارهم إليه، وذمهم له في طلب حوائجهم منه، فهذا نفسه

مُزاحمةً لربوبية الله تعالى وإلهيته، وربما تسبب بعض هؤلاء إلى إيقاع الناس في أمر يحتاجون فيه إليه؛ ليضطرّهم بذلك إلى رفع حاجاتهم إليه، وظهور افتقارهم واحتياجهم إليه، ويتعاضم بذلك ويتكبر به، وهذا لا يصلح إلا لله تعالى وحده لا شريك له. اهـ.

من: "مجموع رسائل ابن رجب" (١).

(١) من "مجموع رسائل ابن رجب" (٥/٤٦-٥٠). ط: مكتبة أولاد الشيخ.

الحديث الرابع عشر:

عن أبي هريرة: أن رسول الله - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - قال: "مَنْ وَلِيَ الْقَضَاءَ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ".^(١)

قال الصنعاني **رحمه الله** في "سبل السلام":

دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى التَّحْذِيرِ مِنْ وِلَايَةِ الْقَضَاءِ وَالذُّخُولِ فِيهِ كَأَنَّهُ يَقُولُ مَنْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِذَبْحِ نَفْسِهِ فَلْيَحْذَرَهُ وَلْيَتَوَقَّهْ فَإِنَّهُ إِنْ حَكَّمَ بِغَيْرِ الْحَقِّ مَعَ عِلْمِهِ بِهِ أَوْ جَهْلِهِ لَهُ فَهُوَ فِي النَّارِ.

وَالْمُرَادُ مِنْ ذَبْحِ نَفْسِهِ إِهْلَاكُهَا أَيْ فَقَدْ أَهْلَكَهَا بِتَوَلِّيهِ الْقَضَاءَ، وَإِنَّمَا قَالَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ لِلْإِعْلَامِ بِأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِالذَّبْحِ فَرْيَ الْأَوْدَاجِ الَّذِي يَكُونُ فِي الْغَالِبِ بِالسِّكِّينِ بَلْ أُرِيدَ بِهِ إِهْلَاكُ النَّفْسِ بِالْعَذَابِ الْأُخْرَوِيِّ.

وَقِيلَ: ذُبِحَ ذَبْحًا مَعْنَوِيًّا وَهُوَ لَا زِمٌّ لَهُ؛ لِأَنَّهُ إِنْ أَصَابَ الْحَقُّ فَقَدْ أَتَعَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا لِإِرَادَتِهِ الْوُقُوفَ عَلَى الْحَقِّ وَطَلَبِهِ وَاسْتِقْصَاءَ مَا تَحِبُّ عَلَيْهِ رِعَايَتُهُ فِي النَّظَرِ فِي الْحُكْمِ، وَالْمُوقِفَ مَعَ الْخُصْمَيْنِ، وَالتَّسْوِيَةَ بَيْنَهُمَا فِي الْعَدْلِ وَالْقِسْطِ وَإِنْ أَخْطَأَ فِي ذَلِكَ لَزِمَهُ عَذَابُ الْآخِرَةِ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ. اهـ.^(٢)

قال شيخنا يحيى **حفظه الله**: قلت فهذه ولاية القضاء بهذا الحال وهذه معتمدة على الأدلة وأهلها هم المنسوبون إلى العلم، فغيرها من المناصب العسكرية، والمراتب الحكومية أشد وعيدا وضررا منها، لما فيها من الجهل والبعد أكثر.

(١) رواه "أبو داود" (٣٥٧١)، و"أحمد" (٧١٤٥)، و"الترمذي" (١٣٢٥)، و"ابن ماجة" (٢٣٠٨)،

وصححه الألباني في "الصحيح الجامع" (٦١٩٠).

(٢) "سبل السلام" (٤٧/٨)، وبنحوه في "فتح العلام" لصديق حسن خان (٢٤٣/٤).

الحديث خامس عشر:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتَتَنَ»^(١).

وفي رواية النسائي وأبي داود: «وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ افْتَتَنَ»

قال صاحب "عون المعبود":

(افْتَتَنَ) أَي صَارَ مَفْتُونًا فِي دِينِهِ.

فِي الصَّحَاحِ افْتَتَنَ الرَّجُلُ وَفَتَنَ الْمُنْبِيُّ لِلْمَفْعُولِ فِيهِمَا إِذَا أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ فَذَهَبَ مَالُهُ وَعَقْلُهُ. وَالْمُرَادُ هَا هُنَا ذَهَابُ دِينِهِ قَالَهُ فِي "مِرْقَاةِ الصُّعُودِ".

وَقَالَ الْعَرِيزِيُّ: لِأَنَّهُ إِنْ وَافَقَهُ فِي مُرَادِهِ فَقَدْ خَاطَرَ بِدِينِهِ وَإِنْ خَالَفَهُ خَاطَرَ بِرُوحِهِ.

انتهى^(٢)

(١) الترمذي (٢٢٥٦)، و أبو داود (٢٨٥٩)، والنسائي (٤٣٠٩)، وأحمد (٣٣٦٢)، وصححه العلامة

الألباني رحمه الله .

(٢) عون المعبود (٥/٢٧٦) ط: دار الحديث القاهرة .

الحديث السادس عشر:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِيءًا، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِيمًا، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا». رواه "مسلم" (١)

وقد ذكره ابن عبد البر رحمه الله في "الجامع" (١/٥١٢)، تحت باب: «ذم العالم على مداخله السلطان الظالم».

قال النووي رحمه الله. تحت الحديث.:

وَمَعْنَاهُ مَنْ كَرِهَ ذَلِكَ الْمُنْكَرَ فَقَدْ بَرِيَ مِنْ إِثْمِهِ وَعُقُوبَتِهِ وَهَذَا فِي حَقِّ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ
إِنْكَارَهُ بِيَدِهِ وَلَا لِسَانِهِ فَلْيُكْرِهُهُ بِقَلْبِهِ وَلْيَبْرَأْ.

الحديث السابع عشر:

عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ: أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ لِلْقِيِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ رَجُلٌ أَلْقَاهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَبِي، فَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ، وَخَرَجَ عُمَرُ مَعَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُمْتُ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَنَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ، فَعَرَفَهُمْ غَيْرِي، فَنَحَانِي وَقَامَ فِي مَكَانِي، فَمَا عَقَلْتُ صَلَاتِي، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ: يَا بَنِي لَا يَسُوءُكَ اللَّهُ، فَإِنِّي لَمْ آتِكَ الَّذِي أَتَيْتَكَ بِجَهَالَةٍ، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَنَا: "كُونُوا فِي الصَّفِّ الَّذِي يَلِينِي" وَإِنِّي نَظَرْتُ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَعَرَفْتُهُمْ غَيْرِكَ.

ثُمَّ حَدَّثَ، فَمَا رَأَيْتُ الرَّجَالَ مَتَحَتْ أَعْنَاقَهَا إِلَى شَيْءٍ مُتَوَحِّهَا إِلَيْهِ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: هَلْكَ أَهْلُ الْعُقْدَةِ وَرَبِّ الْكُعْبَةِ، إِلَّا لَا عَلَيْهِمْ أَسَى، وَلَكِنْ أَسَى عَلَى مَنْ يَهْلِكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَإِذَا هُوَ أَبِي.

رواه "أحمد" ^(١)، و"النسائي" ^(٢)، وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"

لشيخنا الإمام الوادعي رحمته الله ^(٣).

(١) (٢١٣٠١).

(٢) (٨٨/٢).

(٣) (٣٣/١).

الحديث الثامن عشر:

عن المقداد بن الأسود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: أَيْمُ اللَّهِ، لقد سمعتُ رسولَ الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**

وسلم - يقول:

«إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنَ،
وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهَاً».

رواه أبو داود^(١)، وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"^(٢)، وفي "السلسلة

الصحيحة"^(٣)، للعلامة الألباني **رحمه الله**.

(١) برقم (٤٢٦٣).

(٢) (١٩٧/٢)، برقم (١١٤٠).

(٣) برقم (٩٧٣).

الحديث التاسع عشر:

عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:
 «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».
 رواه مسلم (٥٦).

الحديث العشرون :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:

«تَعَسَّ عَبْدُ الدَّيْنَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الحَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَأَنْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أَنْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبِرَّةَ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ سَفَعَ لَمْ يُسَفَّعْ».

رواه البخاري^(١).

(١) برقم: (٢٧٤٢).

الحديث الحادي والعشرون :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيَكُونُ أُمَّرَاءٌ يُعْرِفُونَ وَيُنْكِرُونَ، فَمَنْ نَابَدَهُمْ نَجَا، وَمَنْ اعْتَزَلَهُمْ سَلِمَ، وَمَنْ خَالَطَهُمْ هَلَكَ».

رواه الطبراني وابن أبي شيبة، وهو في "صحيح الجامع" للعلامة الألباني (٣٦٦١).

قال المناوي:

(فمن نابدهم) يعني أنكر بلسانه ما لا يوافق الشرع. (نجا) من النفاق والمداهنة. (ومن اعتزلهم). منكر بقلبه (سلم) من العقوبة على ترك المنكر. (ومن خالطهم) راضيا بفسقهم (هلك) يعني وقع فيما يوجب الهلاك الأخروي من ارتكاب الآثام لانحطاطه في هواهم واحتياجه لمداهنتهم، والرضى بأعمالهم، والتشبه بأحوالهم، والتزيي بزيمهم ومد العين إلى زهرتهم بما فيه تعظيمهم { ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار } .

"فيض القدير" (٤/ ١٧٤).

الحديث الثاني والعشرون:

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ شَرَطَةٌ، يَغْدُونَ فِي غَضَبِ اللَّهِ، وَيُرْوَحُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ بَطَانَتِهِمْ».

رواه الطبراني في "الكبير"، وهو في "الصحيح الجامع" (٣٥٦٠).



الفصل الرابع

بعد السلف عن الولايات وأهلها:

وأما هذا الباب فالآثار لا تكاد تحصر في هذا من تحذير السلف من مخالطة السلاطين، والتنافس على مناصب الملك والانشغال بذلك ولكن نذكر نموذجاً وجملة طيبة في ذلك، وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف.

* الأثر الأول:

قال حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَمَوَاقِفَ الْفِتَنِ» قِيلَ: وَمَا مَوَاقِفُ الْفِتَنِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَبْوَابُ الْأَمْرَاءِ يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ عَلَى الْأَمِيرِ فَيُصَدِّقُهُ بِالْكَذِبِ وَيَقُولُ لَهُ مَا لَيْسَ فِيهِ»^(١).

* الأثر الثاني:

قال ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ عَلَى أَبْوَابِ السُّلْطَانِ فِتْنًا كَمَبَارِكِ الْإِبِلِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُصِيبُوا مِنْ دُنْيَاهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابُوا مِنْ دِينِكُمْ مِثْلَهُ أَوْ قَالَ مِثْلِيهِ»^(٢).

* الأثر الثالث:

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٣١٦/١١)، وابن عبد البر في الجامع (١١٠٣)، وهو عند ابن أبي

شيبه (٢٣٧/١٥)، وفي الحلية (٢٧٧/١).

(٢) رواه عبد الرزاق (٣١٧/١١)، وابن عبد البر (١١٠٤).

عَنْ أَيُّوبَ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُذَيْنَةَ -يَعْنِي: قَاضِي الْبَصْرَةِ- زَمَنَ شَرِيحًا،
ذَكَرَ أَبُو قِلَابَةَ لِلْقَضَاءِ، فَهَرَبَ حَتَّى أَتَى الْيَمَامَةَ.

قَالَ: فَلَقِيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا وَجَدْتُ مَثَلِ الْقَاضِي الْعَالِمِ إِلَّا مَثَلِ
رَجُلٍ وَقَعَ فِي بَحْرٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَسْبِحَ حَتَّى يَغْرُقَ^(١).

* الأثر الرابع:

كان سفيان الثوري رحمه الله يفرّ من السلطان، فلما عُوتِبَ قال: لَيْسَ أَحَافُ إِهَانَتِهِمْ،
إِنَّمَا أَحَافُ كَرَامَتِهِمْ، فَلَا أَرَى سَيِّئَتِهِمْ سَيِّئَةً، لَمْ أَرِ لِلسُّلْطَانِ مِثْلًا، إِلَّا مِثْلًا ضَرَبَ عَلَى لِسَانِ
التَّعْلَبِ.

قَالَ: عَرَفْتُ لِلْكَلبِ نَيْفًا وَسَبْعِينَ دُستَانًا، لَيْسَ مِنْهَا دُستَانٌ خَيْرًا مِنْ أَنْ لَا أَرَى
الْكَلبَ، وَلَا يَرَانِي^(٢).

* الأثر الخامس:

وقال أبو عمرو الطائفي رحمه الله: عرض سوار على عبد الله بن بكر - السهمي - قضاء
الأبلة فأبى^(٣).

* الأثر السادس:

(١) "السير" (٤/٤٧٠).

(٢) "السير" (٧/٢٦٢)، ونحوه في "الشعب للبيهقي" (٧/٥١).

(٣) "تهذيب التهذيب" (٢/٣١٠).

قال أبو بكر بن أبي داود رحمته الله: كان المستعين بعث إلى نصر بن علي ليوليه القضاء فقال
لأمير البصرة "ارجع فاستخير الله تعالى فرجع إلى بيته فصلى ركعتين ثم قال اللهم أن كان لي
عندك خير فاقبضني إليك فنام فنبهوه فإذا هو ميت" ^(١).

* الأثر السابع:

قال الحافظ رحمه الله في "الإصابة" ^(٢):

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين - أن عمر استعمل أبا
هريرة على البحرين، فقدم بعشرة آلاف، فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال، فمن أين
لك؟ قال: خيل نتجت، وأعطية تتابعت، وخراج رقيق لي، فنظر فوجدها كما قال، ثم دعاه
ليستعمله فأبى، فقال: لقد طلب العمل من كان خيرا منك؟ قال: ومن؟ قال: يوسف.
قال:

إنّ يوسف نبي الله، ابن نبي الله وأنا أبو هريرة بن أميمة، وأخشى ثلاثا أن أقول بغير
علم، أو أفضي بغير حكم، ويضرب ظهري، ويشتم عرضي، وينزع مالي.

* الأثر الثامن:

وعن عامر بن سعد، قال: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ
عُمَرُ، فَلَمَّا رَأَى سَعْدًا قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّكِيبِ، فَنَزَلَ فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتَ فِي إِبِلِكَ

(١) "تهذيب التهذيب" (٤/٢١٩).

(٢) رواه عبد الرزاق (٢٠٦٥٩)، وانظر "الإصابة" (١٣/٥٥).

وَعَنَمَكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيِّ، الْخَفِيِّ»^(١).

* الأثر التاسع:

لما حضر أبا ذر **رضي الله عنه** الموت مر به جماعة من المسلمين وأرادوا تكفينه، فقال لهم قبل موته: فَأَنْشُدْكُمْ اللَّهَ أَنْ لَا يُكْفِنَنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ كَانَ أَمِيرًا أَوْ عَرِيفًا أَوْ بَرِيدًا. فَكُلُّ الْقَوْمِ كَانَ قَدْ نَالَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا قَتِيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ مَعَ الْقَوْمِ، قَالَ: أَنَا صَاحِبُكَ، ثَوْبَانِ فِي عَيْتِي مِنْ غَزَلِ أُمِّي، وَأَجِدُ ثَوْبِي هَذَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَيَّ. قَالَ: أَنْتَ صَاحِبِي فَكْفِنِي^(٢).

* الأثر العاشر:

وشي بشيخ الإسلام ابن تيمية **رحمه الله** إلى السلطان الملك الناصر فأحضره بين يديه، ومن جملة ما قال له الناصر: أُخْبِرْتَ أَنَّكَ قَدْ أَطَاعَكَ النَّاسَ، وَأَنَّ فِي نَفْسِكَ أَخَذَ الْمَلِكُ فَرْدَ عَلَيْهِ بِنَفْسٍ مَطْمَئِنَّةٍ وَقَلْبٍ ثَابِتٍ وَصَوْتٍ عَالَ سَمِعَهُ كَثِيرٌ مِمَّنْ حَضَرَ: أَنَا أَفْعَلُ ذَلِكَ؟ وَاللَّهِ إِنْ مَلَكَكَ وَمَلَكَ آبَاكَ لَا يُسَاوِي عِنْدِي فَلَاسِينَ فَتَبَسَّمَ السُّلْطَانُ لَذَلِكَ^(٣).

* الأثر الحادي عشر:

(١) رواه مسلم (٢٩٦٥).

(٢) رواه أحمد (٢١٥٠٥)، وهو في "صحيح الترغيب" للألباني (٣٣١٤).

(٣) "الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية" للبرزار (٦٥) نقلاً من مقدمة "تحقيق الحموية"

للتويجري (ص ٢٦).

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ **رحمه الله**: بَحْشَلُ: طَلَبَ عَبَادُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَمِيرُ عَمِّي لِيُوَلِّيَهُ الْقَضَاءَ، فَتَعَيَّبَ عَمِّي فَهَدَمَ عَبَادٌ بَعْضَ دَارِنَا فَقَالَ الصَّبَّاحِيُّ لِعَبَادٍ: مَتَى طَمَعَ هَذَا الْكَذَّاءُ وَكَذَا أَنْ يَلِيَ الْقَضَاءَ؟! فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمِّي، فَدَعَا عَلَيْهِ بِالْعَمَى. قَالَ: فَعَمِيَ الصَّبَّاحِيُّ بَعْدَ جُمُعَةٍ. قَالَ حَجَّاجُ بْنُ رِشْدِينَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ وَهَبٍ يَتَذَمَّرُ، وَيَصِيحُ فَأَشْرَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ غُرْفَتِي فَقُلْتُ: مَا شَأْنُكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ! بَيْنَمَا أَنَا أَرْجُو أَنْ أُحْشَرَ فِي زُمْرَةِ الْعُلَمَاءِ أُحْشِرُ فِي زُمْرَةِ الْقَضَاءِ. قَالَ: فَتَعَيَّبَ فِي يَوْمِهِ فَطَلَبُوهُ. ^(١)

* الأثر الثاني عشر:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ وَمَعَهُ دِينُهُ فَيَخْرُجُ وَمَا مَعَهُ دِينُهُ. فَقَالَ رَجُلٌ: كَيْفَ ذَاكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: يُرْضِيهِ بِمَا يُسْخِطُ اللَّهَ فِيهِ. ^(٢)

* الأثر الثالث عشر:

قَالَ الْحَسَنُ **رحمه الله** قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ يَغْشَى السُّلْطَانَ وَيُصِيبُ مِنْهُمْ، فَتَرَكَ ذَلِكَ، وَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ، فَأَتَاهُ أَهْلُهُ وَبَنُوهُ، فَقَالُوا: تَرَكَتَ السُّلْطَانَ وَحَظَّكَ مِنْهُ؟ فَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ فَعَلْتَ لَتَمَوْتَنَّ هَرَسًا، فَقَالَ: يَا بَنِيَّ! وَاللَّهِ لَأَنْ أَمُوتَ مُؤْمِنًا مَهْرُوسًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ مُنَافِقًا سَمِينًا.

قَالَ الْحَسَنُ **رحمه الله**: عَلِمَ وَاللَّهِ، أَنَّ الْقَبْرَ يَأْكُلُ الشَّحْمَ وَاللَّحْمَ، وَلَا يَأْكُلُ الْإِيمَانَ. ^(٣)

(١) السير (٩/٢٢٧-٢٢٨).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٦/٢٠٨) بواسطة قطع المراء (ص ٣٧).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في "العزلة والانفراد" (ص ١٧٦)، بواسطة "قطع المراء" (ص ٤٠).

* الأثر الرابع عشر:

عَنْ عَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " اتَّقُوا أَبْوَابَ السُّلْطَانِ " (١)

* الأثر الخامس عشر:

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ أُمَرَاءَ وَعُمَّالٍ صَحْبَتُهُمْ فِتْنَةٌ وَمُفَارَقَتُهُمْ كُفْرٌ» (٢)

* الأثر السادس عشر:

قَالَ أَبُو حَازِمٍ مَرَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ كَانُوا يَفْرُونَ مِنَ السُّلْطَانِ وَيَطْلُبُهُمْ وَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ يَأْتُونَ أَبْوَابَ السُّلْطَانِ، وَالسُّلْطَانُ يُفَرُّ مِنْهُمْ» (٣)

* الأثر السابع عشر:

وَقِيلَ لِلْأَعْمَشِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، لَقَدْ أَحْيَيْتَ الْعِلْمَ بِكَثْرَةِ مَنْ يَأْخُذُهُ عَنْكَ، فَقَالَ: لَا تَعْجَبُوا؛ فَإِنَّ ثُلُثًا مِنْهُمْ يَمُوتُونَ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكُوا وَثُلُثًا يُكْرِمُونَ السُّلْطَانَ فَهُمْ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتَى، وَمِنْ الثُّلُثِ الثَّلَاثِ قَلِيلٌ مَنْ يُفْلِحُ (٤)

(١) رواه البيهقي في "الشعب" (٤٩/٧)، بواسطة: "قطع المراء" (ص ٥١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٣٨/١٥)، بواسطة "قطع المراء" (ص ٥٥).

(٣) رواه ابن عبد البر في "الجامع" (٥١٣/١) برقم (١٠٩٣)، وأبو نعيم في "الحلية" (٢٣٣/٣-٢٤٧)،

وابن المبارك في "الزهد" (٦٣٢).

(٤) رواه ابن عبد البر في "الجامع" (٥٢٠/١) برقم (١١١٥).

* الأثر الثامن عشر:

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سُوْحُنٍ: " كَانَ لِبَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَخٌ يَأْتِي الْقَاضِيَّ وَالْوَالِيَّ بِاللَّيْلِ يُسَلِّمُ عَلَيْهِمَا، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الَّذِي يَرَاكَ بِالنَّهَارِ يَرَاكَ بِاللَّيْلِ وَهَذَا آخِرُ كِتَابٍ أَكْتُبُهُ إِلَيْكَ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَقَرَأْتُهُ عَلَى سُوْحُنٍ فَأَعْجَبَهُ وَقَالَ: مَا أَسْمَجَهُ بِالْعَالِمِ أَنْ يُؤْتَى إِلَى مَجْلِسِهِ فَلَا يُوْجَدُ فِيهِ فَيَسْأَلُ عَنْهُ فَيَقَالَ: إِنَّهُ عِنْدَ الْأَمِيرِ " (١).

* الأثر التاسع عشر:

وَقَالَ سُوْحُنٌ: «إِذَا أَتَى الرَّجُلُ مَجْلِسَ الْقَاضِيِّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةٍ بِلا حَاجَةٍ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا تُقْبَلَ شَهَادَتُهُ» (٢).

* الأثر العشرون:

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «كَانَ خِيَارُ النَّاسِ وَأَشْرَافُهُمْ وَالْمَنْظُورُ إِلَيْهِمْ فِي الدِّينِ الَّذِيْنَ يَقُومُونَ إِلَى هَؤُلَاءِ فَيَأْمُرُونَهُمْ بِعِنِي الْأَمْرَاءِ، وَكَانَ آخَرُونَ يَلْزَمُونَ بُيُوتَهُمْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ ذَلِكَ وَكَانَ لَا يُنْتَفَعُ بِهِمْ وَلَا يُذْكَرُونَ ثُمَّ بَقِينَا حَتَّى صَارَ الَّذِيْنَ يَأْتُونَهُمْ فَيَأْمُرُونَهُمْ شَرَارُ النَّاسِ وَالَّذِيْنَ لَزِمُوا بُيُوتَهُمْ وَلَمْ يَأْتُوهُمْ خِيَارُ النَّاسِ» (٣).

(١) رواه ابن عبد البر في "الجامع" (٥٢٠ / ١) برقم (١١١٧).

(٢) رواه ابن عبد البر في "الجامع" (٥٢٠ / ١) برقم (١١١٨).

(٣) رواه ابن عبد البر في "الجامع" برقم (١١٠٧).

* الأثر الواحد والعشرون :

وَقَالَ فَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَحَبَّ الرَّئِيسَةَ إِلَّا حَسَدَ وَبَغَى وَتَبَعَ عُيُوبَ النَّاسِ وَكَرِهَ أَنْ يُذَكَّرَ أَحَدٌ بِخَيْرٍ».

رواه ابن عبد البر رحمه الله في "جامع بيان العلم وفضله" (١).

وقال ابن عبد البر رحمه الله ولي في هذا المعنى :

وَيَجْعَلُ الْحُبَّ حَرْبًا لِلْمُحِبِّينَا	حُبُّ الرَّئِيسَةِ دَاءٌ يَخْلُقُ الدِّينَا
فَلَا مُرُوءَةَ تُبْقِي وَلَا دِينَا	يَفْرِي الحَلَاقِيمَ وَالْأَرْحَامَ يَقْطَعُهَا
فَمَا تُلْفِيهِ إِلَّا عَدُوًّا لِلْمُحِقِّينَا	مَنْ دَانَ بِالْجُهْلِ أَوْ قَبَلَ الرُّسُوحَ
ضَاهَى بِذَلِكَ أَعْدَاءَ النَّبِيِّينَا (٢)	يُسْنَا العُلُومَ وَيَقْلِي أَهْلَهَا حَسَدًا

* * *

(١) في "الجامع" (١/٤٦٣)، برقم (٩٧١).

(٢) "جامع بيان العلم" (١/٤٦٤)، برقم (٩٧٥).

الفصل الخامس

«كلام العلماء والتحذير من التطلع للمناصب وترك العلم»

كلام أهل العلم في التحذير من التخلي عن طلب الحديث والتطلع إلى المناصب، والتردد على أبواب السلاطين كثيرة جداً، نثراً وشعراً، لا تكاد تحصر في مؤلف واحد، ولكن نذكر بعضها:

١- عبد الله بن المبارك المروزي المتوفى سنة (١٨١) هـ:

لَمَّا وَلِيَ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ عُثْمَانَ الْعُشُورَ أَوْ قَالَ: عَلَى الصَّدَقَاتِ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ
يَسْتَمِدُّهُ بِرِجَالٍ مِنَ الْقُرَاءِ يُعِينُونَهُ عَلَى ذَلِكَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ

يَا جَاعِلَ الْعِلْمِ لَهُ بَازِيًّا يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ

اِحْتَلَّتْ لِلدُّنْيَا وَلِذَاتِهَا بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّينِ

فَصُرْتَ مَجْنُونًا بِهَا بَعْدَمَا كُنْتَ دَوَاءً لِلْمَجَانِينِ

أَيْنَ رَوَايَاتُكَ فِيمَا مَضَى عَنِ ابْنِ عَوْنٍ وَابْنِ سِيرِينَ

وَدَرُسُكَ الْعِلْمَ بِآثَارِهِ وَتَرَكْتَ أَبْوَابَ السَّلَاطِينِ

تَقُولُ أَكْرَهْتُ فَمَاذَا كَذَا زَلَّ حِمَارُ الْعِلْمِ فِي الطَّيْنِ

لَا تَبِعِ الدِّينَ بِدُنْيَا كَمَا يَفْعَلُ ضَلَالُ الرَّهَائِينِ^(١)

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/٥١٤) (١٠٩٨). ط دار ابن الجوزي .

وفي "تهذيب التهذيب":

أنه لما ولي إسماعيل بن عليّة كتب إليه ابن المبارك بذلك فلما قرأها، قال: قام من مجلس القضاء فوطئ بساط الرشيد وقال الله الله ارحم شيبتي فأني لا أصبر على القضاء قال لعل هذا المجنون أغراك ثم أعفاه^(١).

ورجح الحافظ **مرحمه الله** أنه لما ولي صدقات البصرة أرسل له ابن المبارك ذلك.

(١) "تهذيب التهذيب" (١/١٤١) ط: مؤسسة الرسالة، و"السير" (٨/٤١١).

٢- محمود الوراق المتوفى سنة (٢٣٠) هـ، قال رحمه الله (١):

رَكِبُوا الْمَوَاكِبَ وَاغْتَدَوْا زَمَرًا إِلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ
 وَصَلُّوا الْبُكُورَ إِلَى الرَّوَّاحِ لِيُبْلَغُوا الرَّتَبَ الشَّرِيفَةَ
 حَتَّى إِذَا ظَفَرُوا بِمَا طَلَبُوا مِنْ الْحَالِ اللَّطِيفَةِ
 وَغَدَا الْمَوْلَى مِنْهُمْ فَرِحًا بِمَا تَحْوِي الصَّحِيفَةَ
 وَتَعَسَّفُوا مَنْ تَحْتَهُمْ بِالظُّلْمِ وَالسَّيْرِ الْعَنِيفَةَ
 خَانُوا الْخَلِيفَةَ عَهْدَهُ بِتَعَسُّفِ الطَّرِيقِ الْمُخَوَّفَةَ
 بَاعُوا الْأَمَانَةَ بِالْخِيَانَةِ وَاشْتَرَوْا بِالْأَمْنِ حِيفَةَ
 عَقَدُوا الشُّحُومَ وَأَهْرَلُوا تِلْكَ الْأَمَانَاتِ السَّخِيفَةَ
 صَاقَتِ فُبُورُ الْقَوْمِ وَاتَّسَعَتْ قُصُورُهُمُ الْمُنِيفَةَ
 مِنْ كُلِّ ذِي أَدَبٍ وَمَعْرِفَةٍ وَآرَاءِ حَصِيفَةَ
 مُتَّفَقَةً جَمَعَ الْحَدِيثَ إِلَى قِيَاسِ أَبِي حَنِيفَةَ
 فَأَتَاكَ يَصْلُحُ لِلْقَضَاءِ بِلِحْيَةٍ فَوْقَ الْوُظَيْفَةِ
 لَمْ يَتَّبِعْ بِالْعِلْمِ إِذْ شَغَفْتَهُ دُنْيَاهُ الشَّغُوفَةَ
 نَسِيَ الْإِلَهَ وَلَا ذِي الدُّنْيَا بِأَسْبَابِ صَعِيفَةَ

(١) رواه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (١/٥١٥) برقم (١١٠١).

٣- أبو عثمان سعيد بن إسماعيل النيسابوري الحيري، المتوفى سنة (٢٩٨) هـ رحمه الله:

قال: "يَنْبَغِي لِمَنْ يَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَأْتِي بَابَ السُّلْطَانِ حَتَّى يُدْعَى ، فَيَأْتِيَهُ وَهُوَ خَائِفٌ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيَأْمُرُهُمُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَقُولُ الْحَقَّ كَمَا جَاءَ فِي الْحَقِّ: أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ ، ثُمَّ يَنْصَرِفَ عَنْهُمْ وَهُوَ خَائِفٌ مِنْ رَبِّهِ ، فَهَذَا غَيْرُ مُفْتَنٍّ ."

إِنَّمَا الْمُفْتَنُّ أَنْ يَأْتِيَهُمْ رَاغِبًا طَالِبًا لِلدُّنْيَا طَالِبًا لِلْعِزِّ فِي الدُّنْيَا طَالِبًا لِلرِّئَاسَةِ فِي النَّاسِ يَتَعَزَّزُ بِعِزِّ السُّلْطَانِ وَيَتَكَبَّرُ بِسُلْطَانِهِ فَإِذَا أَتَاهُمْ دَاهِنُهُمْ وَمَالَ إِلَيْهِمْ وَرَضِيَ بِسُوءِ فِعْلِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَيْهِ وَصَدَّقَهُمْ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ مِنْ قَوْلِهِمْ وَرَجَعَ عَنْهُمْ مُفْتَنًّا بِهَمِّ أَمْنًا لِمَكْرِ اللَّهِ مُعْتَرًا بِمَا نَالَ مِنَ الْعِزِّ بِهِمْ ، يُؤْذِي النَّاسَ وَيَطْغَى فِيهِمْ وَيَتَّقَوَى عَلَيْهِمْ بِاخْتِلَافٍ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَهَذَا الَّذِي افْتَنَّ وَنَسِيَ الْآخِرَةَ وَعَصَى رَبَّهُ وَأَذَى الْمُؤْمِنِينَ وَنَقَصَ مِنْ دِينِهِ مَا لَا يَجْبُرُهُ الدُّنْيَا كُلُّهَا لَوْ كَانَتْ لَهُ" (١).

(١) رواه البيهقي في الشعب (٧/٥٢)، بواسطة رسالة قطع المراء (٢٨-٢٩).

٤. أحمد بن محمد بن عبد مربه الأندلسي المتوفى سنة ٣٢٨هـ:

يقول في "العقد الفريد"^(١):

" لقي أبو جعفر سفيان الثوري في الطواف، فقال: ما الذي يمنعك أبا عبد الله أن تأتينا؟ قال: إن الله نهانا عنكم فقال: " وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ . " . وقدِمَ هشامُ بن عبد الملك المدينة لزيارة القبر^(٢)، فدخل عليه أبو حازم الأعرج، فقال: ما يمنعك أبا حازم أن تأتينا؟ فقال: وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين، إن أدنيتني فتننتني، وإن أقصيتني أخزيتني، وليس عندي ما أخافك عليه، ولا عندك ما أرجوك له " .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: مَنْ دخل على الملوك خرج وهو ساخطٌ على الله. أرسل أبو جعفر إلى سفيان، فلما دخل عليه قال: سلني حاجتك أبا عبد الله؟ قال: وتفضيها يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قال: فإن حاجتي إليك أن لا تُرسل إليَّ حتى آتيك؛ ولا تُعطيني شيئاً حتى أسألك، ثم خرج.

فقال أبو جعفر: ألقينا الحبَّ إلى العلماء فلَقَطُوا إلَّا ما كان من سفيان الثوري، فإنه أعيانا فراراً. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الدُّخُولُ على الأغنياء فِتْنَةٌ للفقراء.

وقال زيادٌ لأصحابه: مَنْ أَعْطَى النَّاسَ عَيْشاً؟ قالوا: الأُميرُ وأصحابه؟ قال: كلا، إنَّ لأَعْوَادِ المنبرِ هَيْبَةً، ولقرعِ لجامِ البريدِ لَفَزْعَةً، ولكنَّ أَعْطَى النَّاسَ عَيْشاً رَجُلٌ له دارٌ يَسْكُنُهَا، وزَوْجَةٌ صالِحَةٌ ياوي إليها، في كَفَافٍ من عَيْشٍ، لا يَعْرِفُنَا ولا نَعْرِفُهُ، فإنَّ عَرَفْنَا وعَرَفْنَا عَرَفْنَا " عليه " آخرته ودُنياه وقال الشاعر:

(١) (٢/٣٦٩)، دار الحديث القاهرة .

(٢) هذه الزيارة إن كانت بغير شد رحل جازت وإلا فلا، لحديث: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ».

إِنَّ الْمُلُوكَ بِلَاءٌ حَيْثُمَا حَلُّوا فَلَا يَكُنْ لَكَ فِي أَكْنَافِهِمْ (١) ظُلُّ
 ماذا تُؤمل من قوم إذا غَضِبُوا جَارُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ مَلُّوا
 فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ عَنِ إِيْتَانِهِمْ أَبَدًا إِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى أَسْوَابِهِمْ ذُلُّ

وقال آخر:

لَا تَصْحَبَنَّ ذَوِي السُّلْطَانِ فِي عَمَلٍ تُصْبِحُ عَلَى وَجَلٍ تَمْسِي عَلَى وَجَلٍ
 كُلُّ التَّرَابِ وَلَا تَعْمَلْ لَهُمْ عَمَلًا فَالْشَّرُّ أَجْمَعُهُ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ

وفي كتاب "كليلة ودمثة": صاحبُ السلطان مثلُ راكبِ الأسد لا يدري متى يهيجُ به فيقتله.

دخل مالكُ بنُ دينارٍ على رَجُلٍ في السِّجْنِ يزوره، فنظر إلى رجلٍ جُنْدِيٍّ قد اتَّكأ، في رجليه كُبولٌ قد قَرَنْتَ بين سَاقَيْهِ، وقد أتى بِسُفْرَةٍ كَثِيرَةٍ الأَلْوَانِ، فدعا مالكُ بنَ دينارٍ إلى طَعَامِهِ؟ فقال له: أخشى إن أكلتُ من طَعَامِكَ هذا أن يُطْرَحَ في رجليّ مثلُ كُبولِكَ هذه.

وفي كتاب الهند: السلطانُ مثلُ النار، إن تباعدتَ عنها احتجبتَ إليها، وإن دنوتَ منها أحرقتك.

أيوب السُّخْتِيَانِي قال: طُلب أبو قِلَابَةَ لِقَضَاءِ البَصْرَةِ فَهَرَبَ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ، فَأَقَامَ حِينًا ثُمَّ رَجَعَ. قال أيوب: فقلتُ له: لو وُلِيتَ القَضَاءَ وَعَدَلْتَ كان لك أجران؟.

(١) قال شيخنا يحيى حفظه الله:

البيت الأول فيه إطلاق غير صحيح، قال الله تعالى: فبالملوك الصالحين يحفظ دين الله، ويدحر العدو، ويقام الجهاد، وتعمر المساجد، وينساح المنكر، ويقام المعروف، وتؤمن الطرق، ويكبت الأعداء، وكما قيل:

خليفة الله جازى الله سعيكم جرثومة الدين والإسلام والنسب

فقال يا أيوب، إذا وقع السابح في البحر كم عسى أن يسبح؟.

وقال بقيّة: قال لي إبراهيم: يا بقيّة، كن ذنباً ولا تكن رأساً، فإنّ الرأس يهلك والذنب

ينجو.

ومن قولنا في خدمة السلطان وصحبته:

وَلَا تَحْتَمِمْ يَوْمًا بَفِصِّ زَبْرٍ جَدٍ	تَجَنَّبَ لِيَاسَ الْحَزَنِ إِنْ كُنْتَ عَاقِلًا
وَتَسْحَبَ أَذْيَالَ الْمَلَأِ الْمُعْصَدِ	وَلَا تَتَطَيَّبَ بِالْغَوَالِي تَعَطُّرًا
وَلَا تَتَصَدَّرَ فِي الْفِرَاشِ الْمُمَهَّدِ	وَلَا تَتَخَيَّرَ صَيِّتَ النَّعْلِ زَاهِيًا
تَرُوحُ وَتَغْدُو فِي إِزَارٍ وَبُرْجُدِ	وَكُنْ هَمَلًا فِي النَّاسِ أَغْبَرَ شَاعِثًا
عَلَيْهِ، سِرِيرًا فَوْقَ صَرْحِ مَمْرَدِ	يَرَى جِلْدَ كَبْشٍ، تَحْتَهُ كَلِمَا اسْتَوَى
لَهُ سَطَوَاتُ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ	وَلَا تَطْمَحِ الْعَيْنَانِ مِنْكَ إِلَى امْرِئٍ
وَقَادَتْ لَهُ الْأَطْمَاعُ مِنْ غَيْرِهِ مَقْوَدِ	تَرَاءَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِزَبْرَجِ عَيْشِهَا
وَلَمْ يَرْتَقِبْ فِي الْيَوْمِ عَاقِبَةَ الْغَدِ	فَأَسْمَنَ كَشَحِيهِ وَأَهْزَلَ دِينَهُ
وَيَوْمًا تَرَاهُ فَوْقَ سَرَجِ مُنْصَدِ	فِيَوْمًا تَرَاهُ تَحْتَ سَوْطِ مُجَرَّدَا
فَذَا شَرُّ مَرْحُومٍ وَشَرُّ مُحْسَدِ	فَيُرْحَمُ تَارَاتٍ وَيُحْسَدُ تَارَةً

٥- علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني المتوفى سنة ٣٩٦هـ

قال رحمه الله^(١):

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْتِبَاضٌ وَإِنَّمَا
أَرَى النَّاسَ مِنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْدَهُمْ
وَلَمْ أَفْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كَلِّمَا
وَمَا كُلُّ بَرِّقٍ لَاحٍ لِي يَسْتَفِزُّنِي
إِذَا قِيلَ هَذَا مَنَهَلٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى
أَنَّهَا عَنْ بَعْضِ مَا لَا يَشِينُهَا
وَلَمْ أَتَبَدَّلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي
أَأَشْتَقِي بِهِ عَرَسًا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانِيَهُمْ
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانَ وَدَنَسُوا

رَأَوْا رَجُلًا عَن مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمًا
وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمًا
بَدَا طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِي سَلَمًا
وَلَا كُفْلٌ مِنْ لَأَقَيْتَ أَرْضَاهُ مُنْعَمًا
وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا
مُخَافَةَ أَقْوَالِ الْعِدَا فِيمَ أَوْ لِمَا
لِأَخْدُمَ مِنْ لَأَقَيْتَ لَكِنْ لِأَخْدَمَا^(٢)
إِذَا فَاتَّبَاعَ الْجُهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا
وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النَّفْسِ لِعُظِّمًا
مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا

(١) انظر ادب الدنيا والدين (١٧٣-١٧٤) ط دار ابن الجوزي، والآداب الشرعية (٢/ ١٤٥).

(٢) قال شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله: يستدرك عليه فإنه ينبغي أن تبدل في خدمة العلم مهجتك لله عز وجل أما من أجل أن تخدم فهذا لعله زلة لسان أو لعله لأجل قافية الشعر إلى غير ذلك وإلا فهو خطأ لا ينبغي أن يتبع فيه الشاعر رحمه الله - اهـ من المصارعة (ص ٦٢).

٦- ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ):

ذكر ابن عبد البر رحمه الله في "جامع بيان العلم وفضله" باباً فقال:

بَابُ ذَمِّ الْعَالِمِ عَلَى مَدَاخِلَةِ السُّلْطَانِ الظَّالِمِ:

ثم ذكر حديث: «وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ افْتِنَ»، وقد تقدم.

وذكر حديث أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَكُونُ عَلَيْكُمْ أَمْرَاءٌ...»، وقد تقدم.

وذكر آثاراً ما صحح منها ذكرناه فيها مضى، وذكر أبياتاً جميلة وستأتي فيما بعد، كقول ابن

المبارك:

يَا جَاعِلَ الْعِلْمِ لَهُ بَازِيًا يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ

ثم ذكر آثاراً وأحاديث بعضها صحيح وقد تقدمت، وبعضها ضعيف ثم قال:

مَعْنَى هَذَا الْبَابِ كُلُّهُ فِي السُّلْطَانِ الْجَائِرِ الْفَاسِقِ فَأَمَّا الْعَدْلُ مِنْهُمْ الْفَاضِلُ فَمُدَاخَلَتُهُ وَرُوِيَّتُهُ وَعَوْنُهُ عَلَى الصَّلَاحِ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْبِرِّ أَلَا تَرَى أَنَّ عَمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِنَّمَا كَانَ يَصْحَبُهُ جَلَّةُ الْعُلَمَاءِ مِثْلُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَطَبَقَتِهِ وَابْنِ شِهَابٍ وَطَبَقَتِهِ وَقَدْ كَانَ ابْنُ شِهَابٍ يَدْخُلُ إِلَى السُّلْطَانِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَبَنِيهِ بَعْدَهُ.

وَكَانَ يَمْنُ يَدْخُلُ إِلَى السُّلْطَانِ الشَّعْبِيِّ وَقَيْصَةَ بْنِ دُوَيْبٍ، وَالْحَسَنُ، وَأَبُو الزُّنَادِ، وَمَالِكُ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَالشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَجَمَاعَةٌ يَطُولُ ذِكْرُهُمْ وَإِذَا حَضَرَ الْعَالِمُ عِنْدَ السُّلْطَانِ غَبَّ فِيهَا فِيهِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا وَنَطَقَ بِعِلْمٍ كَانَ حَسَنًا وَكَانَ فِي ذَلِكَ رِضْوَانُ

اللَّهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ وَلَكِنَّهَا مَجَالِسُ الْفِتْنَةِ فِيهَا أُغْلِبُ وَالسَّلَامَةُ مِنْهَا تَرَكُ مَا فِيهَا...». إلى آخر كلامه^(١).

قلت: رحمك الله يا ابن عبد البر، أما في زماننا فمن دخل في عمل السلطان فإنه يبدأ بمعصية الرحمن، من أول إمرة في غالب الأحوال، قبل أن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر، فيؤدي مثلاً القسم الدستوري الطاغوتي، أو يخالط النساء، ويلبس البنطال، ويقع في كبيرة التصوير، فأبي نصيحة يقدمها؟، وأي منكر سيتحدث عنه؟.

قال شيخنا:

وأين مثل عمر بن عبد العزيز العالم الزاهد، فالعلماء كانوا حوله للعلم والحكمة، لا للدنيا والمناصب، ومن قرأ سيرة عمر بن عبد العزيز ازداد إيمانه وحبه للآخرة، وزهده في الدنيا.

قال الحافظ في ترجمته: كان ثقة، مأمون، له فقه وورع، روى حديثاً كثيراً، وكان إماماً عدل.

(١) "جامع بيان العلم وفضله" (١/٥١٠-٥٢١).

٧- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المعروف بابن الجونزي (المتوفى: ٥٩٧هـ):

يقول رحمه الله في "صيد الخاطر"^(١):

فصل النهي عن مخالطة السلاطين

بقدر صعود الإنسان في الدنيا تنزل مرتبته في الآخرة، وقد صرح بهذا ابن عمر رضي الله عنهما فقال: والله لا ينال أحد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله، وإن كان عنده كريماً، فالسعيد من اقتنع بالبلغة، فإن الزمان أشرف من أن يضيع في طلب الدنيا.

اللهم إلا أن يكون متورعاً في كسبه، معيناً لنفسه عن الطمع، قاصداً إعانة أهل الخير والصدقة على المحتاجين، فكسب هذا أصلح من بطالته، فأما الصعود الذي سببه مخالطة السلاطين فبعيد أن يسلم معه الدين، فإن وقعت سلامته ظاهراً فالعاقبة خطيرة.

قال أبو محمد التميمي: ما غبطت أحداً إلا الشريف أبا جعفر يوم مات القائم بأمر الله فإنه غسله وخرج ينفض أكمامه فقعد في مسجده لا يبالي بأحد ونحن منزعجون لا ندرى ما يجري علينا.

وذلك أن التميمي كان متعلقاً على السلطان يمضي له في الرسائل، فخاف مغبة القرب، وقد رأينا جماعة من العلماء خالطوا السلطان فكانت مغبتهم سيئة، ولعمري إنهم طلبوا الراحة فأخطأوا طريقها، لأن غموم القلب لا توازيها لذة مال ولا لذة مطعم، هذا في الدنيا قبل الآخرة.

(١) "صيد الخاطر" (٤٧١) ط: «دار ابن خزيمة».

وليس أشرف وأطيب عيشاً من منفرد في زاوية لا يخالط السلاطين ولا يبالي أطاب مطعمه أم لم يطب، فإنه لا يخلو من كسرة وقعب ماء ثم هو سليم من أن تقال له كلمة تؤذيه، أو يعيبه الشرع حين دخوله عليهم أو الخلق.

ومن تأمل حال أحمد بن حنبل في انقطاعه، وحال ابن أبي داود، ويحيى بن أكرم عرف الفرق في طيب العيش في الدنيا والسلامة في الآخرة، وما أحسن ما قال ابن أدهم: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من لذيذ العيش لجالدونا عليه بالسيوف.

ولقد صدق ابن أدهم، فإن السلطان إن أكل شيئاً خاف أن يكون قد طرح له فيه سم، وإن نام خاف أن يغتال، وهو وراء المغاليق لا يمكنه أن يخرج لفرجة، فإن خرج كان منزعجاً من أقرب الخلق إليه، واللذة التي ينالها تبرد عنده، ولا تبقي له لذة مطعم ولا منكح.

وكلما استظرف المطاعم أكثر منها ففسدت معدته، وكلما استجد الجوارى أكثر منهن فذهبت قوته، ولا يكاد يبعد ما بين الوطاء والوطء فلا يجد في الوطاء كبير لذة لأن لذة الوطاء بقدر بعد ما بين الزمانين، وكذلك لذة الأكل، فإن من أكل على شبع ووطئ من غير صدق شهوة وقلق لم يجد اللذة التامة التي يجدها الفقير إذا جاع والعزب إذا وجد امرأة.

ثم إن الفقير يرمي نفسه على الطريق في الليل فينام ولذة الأمن قد حرمها الأمراء فلذتهم ناقصة وحسابهم زائد، والله ما أعرف من عاش رفيع القدر بالغاً من اللذات ما لم يبلغ غيره إلا العلماء المخلصين كالحسن وأحمد وسفيان، والعباد المحققين كمعروف، فإن لذة العلم تزيد على كل لذة.

وأما ضرهم إذا جاعوا أو ابتلوا بأذى، فإن ذلك يزيد في رفعتهم.

وكذلك لذة الخلوة والتعب، فهذا معروف، كان منفرداً بربه طيب العيش معه لذيذ الخلوة به، ثم قد مات منذ نحو أربعائة سنة فما يخلو أن يهدي إليه كل يوم ما تقدير مجموعة أجزاء من القرآن، وأقله من يقل على قبره فيقرأ: " قل هو الله أحد " ، ويهديها له^(١).

والسلاطين تقف بين يدي قبره ذليلة، هذا بعد الموت، ويوم الحشر تنشر الكرامات التي لا توصف، وكذلك قبور العلماء المحققين، ولما بليت أقوام بمخالطة الأمراء أثر ذلك التكدير في أحوالهم كلها.

فقال سفيان بن عيينة: منذ أخذت من مال فلان الأمير منعت ما كان وهب لي من فهم القرآن، وهذا أبو يوسف القاضي لا يزور قبره اثنان.

فالصبر عن مخالطة الأمراء وإن أوجب ضيق العيش من وجه يحصل طيب العيش من جهات، ومع التخليط لا يحصل مقصود. فمن عزم جزم.

كان أبو الحسن القزويني لا يخرج من بيته إلا وقت الصلاة، فربما جاء السلطان فيقعده لانتظاره ليسلم عليه، ومد النفس في هذا ربما أضجر السامع، ومن ذاق عرف.

ثم قال رحمه الله^(٢):

فصل إياكم وأبواب السلاطين وعطاياهم:

رأيت خلقاً من العلماء والقصاص تضيق عليهم الدنيا فيفزعون إلى مخالطة السلاطين لينالوا من أموالهم، وهم يعلمون أن السلاطين لا يكادون يأخذون الدنيا من وجهها، ولا يخرجونها في حقها، فإن أكثرهم إذا حصل له خراج ينبغي أن يصرف إلى المصالح وهبه لشاعر، وربما كان معه جندي يصلح أن تكون مشاهرته عشرة دنانير فأعطاه عشرة آلاف،

(١) لا دليل على هذا الفعل بل هو من المحدثات.

(٢) صيد الخاطر (٦٢٧).

وربما غزا فأخذ ما ينبغي أن يقسم على الجيش فاصطفاه لنفسهن هذا غير ما يجري من الظلم في المعاملات، وأول ما يجري على ذلك العالم أنه قد حرم النفع بعلمه، وقد رأى بعض الصالحين رجلاً عالماً يخرج من دار يحيى بن خالد البرمكي فقال: أعوذ بالله من علم لا ينفع.

كيف؟ ألم تر المنكرات ولا تنكر، وتتناول من طعامهم الذي لا يكاد يحصل إلا بظلم فينطمس قلبك وتحرم لذة المعاملة للحق سبحانه، ثم لا يقدر لك أن يهتدي بك أحد. بل ربما كان فعل هذا سبباً لإضلال الناس وصرْفهم عن الاقتداء به، فهو يؤذي نفسه ويؤذي أميره، لأنه يقول: لولا أنني على صواب ما صحبني ولأنكر علي.

ويؤذي العوام تارة بأن يروا أن ما فيه الأمير صواب، وتارة بأن الدخول عليه والسكوت عن الإنكار جائز، أو يجب إليهم الدنيا، ولا خير والله في سعة من الدنيا ضيقت طريق الآخرة، وأنا أفتدي أقواماً صابروا عطش الدنيا في هجير الشهوات زمان العمر حتى رووا يوم الموت من شراب الرضى، وبقيت أذكارهم تروي فتروى صدأ القلوب وتجلو صداها.

هذا الإمام أحمد رحمته الله يحتاج فيخرج إلى اللقاط ولا يقبل مال سلطان، هذا إبراهيم الحربي يتغذى بالبقل ويرد على المعتصم ألف دينار، هذا بشر الحافي يشكو الجوع فيقال له يصنع لك حساء من دقيق فيقول: أخاف أن يقول الله لي هذا الدقيق من أين لك؟.

بقيت والله أذكار القوم، وما كان الصبر إلا غفوة يوم، ومضت لذات المترخصين وبليت الأبدان، ووهن الدين، فالصبر الصبر يا من وفق، ولا تغبطن من اتسع له أمر الدنيا، فإنك إذا تأملت تلك السعة رأيتها ضيقاً في باب الدين، ولا ترخص لنفسك في تأويل، فعمرك في الدنيا قليل:

وسواء إذا انقضى يوم كسرى في سرور ويوم صابر كسره

ومتى ضجت النفس لقلّة صبر فاتل عليها أخبار الزهاد، فإنها ترعوي وتستحي وتنكسر إن كانت لها همة أو فيها يقظة، ومثل لها بين ترخص علي بن المديني وقبوله مال ابن أبي داود، وصبر أحمد، كم بين الرجلين والذكرين، وانظر ما يروى عن كل واحد منهما وما يذكران به، وسيندم ابن المديني إذا قال أحمد: سلم لي ديني. اهـ

وقال رحمه الله^(١):

تحت فصل في مخاطر مخالطة والأمرء :

العجب ممن له مسكة من عقل، أو عنده قليل من دين، كيف يؤثر مخالطتهم؛ فإنه بالمخالطة لهم، أو العمل معهم، يكون قطعاً خائفاً من عزل، أو قتل، أو سم، ولا يمكنه أن يعمل إلا بمقتضى أوامرهم؛ فإن أمروا بها لا يجوز، لم يقدر أن يراجع؛ فقد باع دينه قطعاً بدنياه، فمنعه الخوف من القيام بأمر الله، وضاعت عليه آخرته، ولم يبق بيده إلا عاجل التعظيم، وأن يقال بين يديه: بسم الله! وأن ينفذ أوامره! وذلك بعيد من السلامة في باب الدين، وما يلتذ به منه في الدنيا ممزوج بخوف العزل أو القتل. اهـ

وقال-تحت فصل: أقبح الناس حالاً من تعرض للقضاء أو الشهادة.^(٢):

لا عيش في الدنيا إلا للقتل باليسير؛ فإنه كلما زاد الحرص على فضول العيش، زاد الهم، وتشتت القلب، واستعبد العبد، وأما القنوع، فلا يحتاج إلى مخالطة من فوقه، ولا يبالي بمن هو مثله؛ إذ عنده ما عنده.

وإن أقواماً لم يقنعوا، وطلبوا لذيق العيش، فأزروا بدينهم، وذلوا لغيرهم، وخصوصاً أرباب العلم؛ فإنهم ترددوا إلى الأمرء فاستعبدوهم، ورأوا المنكرات، فلم يقدرُوا على

(١) "صيد الخاطر" (٧٢٣).

(٢) "صيد الخاطر" (٧٦٦).

إنكارها، وربما مدحوا الظالم اتقاء لشره؛ فالذي نالهم من الذل وقلة الدين أضعاف ما نالوا من الدنيا.

وقال رحمه الله في كتابه "تلبس إبليس"^(١)

في فصل: تلبس إبليس على الفقهاء في التقرب إلى الأمراء والسلاطين:

ومن تلبس إبليس على الفقهاء مخالطتهم الأمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضا فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه:

الأول: الأمير يقول: لولا أي على صواب لأنكر على الفقيه وكيف لا أكون مصيبا وهو يأكل من مالي.

والثاني: العامي أنه يقول لا بأس بهذا الأمير ولا بهاله ولا بأفعاله فان فلانا الفقيه لا يبرح عنده.

والثالث: الفقيه فإنه يفسد دينه بذلك.

وقد لبس إبليس عليهم في الدخول على السلطان فيقول إنما ندخل لنشفع في مسلم وينكشف هذا التلبس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه ذلك وربما قدح في ذلك الشخص لتفرده بالسلطان ومن تلبس إبليس عليه في أخذ أموالهم فيقول لك فيها حق ومعلوم أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شيء وإن كانت من شبهة فتركها أولى وإن كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين لا على وجه اتفاهه في إقامة الرعونة وربما اقتدى العوام بظاهر فعله واستباحوا ما لا يستباح.

(١) "تلبس إبليس"، (٣٣٤-٣٣٥)، ط دار الوطن.

وقد لبس إبليس على قوم من العلماء ينقطعون على السلطان إقبالا على التعبد والدين فيزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء فيجمع لهم آفتين غيبة الناس ومدح النفس وفي الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن في أول الدخول ثم تتغير بإكرامهم وإنعامهم أو بالطمع فيهم ولا يتناسك عن مدهانتهم وترك الإنكار عليهم.

وقد كان سفيان الثوري **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** يَقُولُ: مَا أَخَافُ مِنْ إِهَانَتِهِمْ لِي إِنَّمَا أَخَافُ مِنْ إِكْرَامِهِمْ فِيمِيلُ قَلْبِي إِلَيْهِمْ.

وَقَدْ كَانَ عُلَمَاءُ السَّلْفِ يَبْعُدُونَ عَنِ الْأُمَرَاءِ لِمَا يَظْهَرُ مِنْ جَوْرِهِمْ فَتَطْلُبُهُمُ الْأُمَرَاءُ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِمْ فِي الْفَتَاوِي وَالْوَلَايَاتِ فَنَشَأَ أَقْوَامٌ قَوِيَةٌ رَغِبَتْهُمْ فِي الدُّنْيَا فَتَعَلَّمُوا الْعُلُومَ الَّتِي تَصْلُحُ لِلْأُمَرَاءِ وَحَمَلُوهَا إِلَيْهِمْ لِيَنَالُوا مِنْ دُنْيَاهُمْ... اهـ إلى آخر كلامه **رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى**.

وقال ابن الجوزي **رَحِمَهُ اللهُ** في "صيد الخاطر"^(١): تحت فصل:

"خادم السلطان كراكب البحر":

طال تعجبي من مؤمن بالله عز وجل، مؤمن بجزائه، يؤثر خدمة السلطان، مع ما يرى منه من الجور الظاهر، فوا عجباً! ما الذي يعجبه؟!

إن كان الذي يعجبه دنيوياً، ليس ثم إلا أن يصاح بين يديه "بسم الله"، وأن يتصدر في المجالس، ويلوي عنقه كبراً على النظراء، ويأخذ الأحاسات، وهو يعلم من أين حصل، وربما انبسط في البراطيل^(٢).

(١) صيد الخاطر (٥٦٥-٥٥٦).

(٢) البراطيل: جمع برطيل، وهو الرشوة.

ثم يقابل هذا أن يصادر، ويعزل، فتستخرج منه تلك المرارة كل حلاوة كانت في الولاية، وربما كان قريب الحال، فافتقر بالمصادرة جدًّا، ثم تنطلق الألسن المادحة بالذم.

ثم لو سلم من هذا، فإنه لا يسلم من الرقيب له، والحذر منه، فهو كراكب البحر، إن سلم بدنه من الغرق، لم يسلم قلبه من الخوف.

وإن كان دينًا؛ فإنه يعلم أنهم لا يمكنونه في الغالب من العمل بمقتضى الدين، فإنهم يأمرونه بترك ما يجب، وفعل ما لا يجوز، فيذهب دينه على البارد! ولعقاب الآخرة أشق.

٨- الإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٨٩هـ

يقول في "مختصر منهاج القاصدين" (١٢٢) :

ومن صفات علماء الآخرة أن يكونوا منقبضين عن السلاطين، محترزين من مخالطتهم.

قال حذيفة **رضي الله عنه** : إياكم ومواقف الفتن . قيل : وما هي ؟ قال : أبواب الأمراء ، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ، ويقول ما ليس فيه .

وقال سعيد بن المسيب **رحمه الله** : إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء ، فاحذروا منه فإنه لص

وقال بعض السلف : إنك لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك أفضل منه

. إلى آخر كلامه **رحمه الله** .

٩- أبو حفص عمر بن مظفر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩هـ

قال في لاميته المشهورة:

جَانِبِ السُّلْطَانِ واحذر بطشه
لا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلْ
لا تَلِ الأَحْكَامَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا
رَغْبَةً فِيكَ وَخَالَفَ مَنْ عَدَلَ
إِنْ نَصَفَ النَّاسِ أَعْدَاءُ لِمَنْ
وَلِيَ الأَحْكَامَ هَذَا إِنْ عَدَلَ
فهو كالمحبوسِ عن لذاته
وَكِلَا كَفَيْهِ فِي الحِشْرِ تُغْلُ
إِنَّ للنقصِ والاستتقالِ فِي
لفظةِ القاضي لَوْ عَظَا أَمْتَلُ
لا تُوَازِي لَذَّةَ الحُكْمِ بِمَا
ذاقَهُ الشَّخْصُ إِذَا الشَّخْصُ انْعَزَلَ
فالولاياتُ وَإِنْ طابَتْ لِمَنْ
ذاقَهَا فالسُّمُّ فِي ذاك العَسَلُ
نَصَبُ المنصبِ أَوْهَى جَلْدِي
وعنائي من مُداراةِ السَّفَلِ

قال شيخنا يحيى بن علي الحجومري حفظه الله في "شرح اللامية"^(١):

لا تشغل نفسك وأن قالوا: أنت أهل لذلك تكون قاضياً، أو مديراً إلى آخره، تلك الأعمال التي يتقاع عليها الناس كتقاع الفراش.

وأنت طلبك للعلم خير لك والله من القضاء، وخير لك والله من أن تكون رئيس دولة، والدليل على ذلك قول الله وتعالى: {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة: ١١].

(١) شرح لامية ابن الوردى (١٥٤-١٥٥) ط مكتبة صنعاء الأثرية .

والله سبحانه وتعالى يقول: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا
يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ } [البقرة: ٢٨٣].

ويقول النبي ﷺ «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» .

وقول النبي ﷺ «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، وفي رواية
«أفضلكم».

وقول النبي ﷺ: «أَنْ لَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَأَهْلِ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي
جِجْرِهَا وَالْحَيْتَانِ فِي الْبَحْرِ لِيُصَلُّوا عَلَى مَعْلَمِ النَّاسِ الْخَيْرِ».

١٠. ابن مفلح في "الأدب الشرعية"، وهو محمد بن مفلح المقدسي، (المتوفى: ٧٦٣هـ):

عقد ابن مفلح فصلا مهما في هذا الموضوع نقله برمته، لأهميته، فقال:

[فَصْلُ انْفِصَاصِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَّقِينَ مِنْ إِيَّانِ الْأُمَرَاءِ وَالسَّلَاطِينِ]

كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَا يَأْتِي الْخُلَفَاءَ وَلَا الْوُلَاةَ وَالْأُمَرَاءَ وَيَمْتَنِعُ مِنَ الْكِتَابَةِ إِلَيْهِمْ، وَيُنْهَى أَصْحَابَهُ عَنْ ذَلِكَ مُطْلَقًا نَقَلَهُ عَنْهُ جَمَاعَةٌ، وَكَلَامُهُ فِيهِ مَشْهُورٌ وَقَالَ مَهْنًا: سَأَلْتُ أَحْمَدَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْهَرَوِيِّ فَقَالَ: رَجُلٌ وَسِخٌ، فَقُلْتُ مَا قَوْلُكَ إِنَّهُ وَسِخٌ قَالَ: مَنْ يَتَّبِعِ الْوُلَاةَ وَالْقُضَاةَ فَهُوَ وَسِخٌ.

وَكَانَ هَذَا رَأْيَ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ، وَكَلَامُهُ فِي ذَلِكَ مَشْهُورٌ مِنْهُمْ سُويْدُ بْنُ غَفَلَةَ وَطَاوُسُ وَالنَّخَعِيُّ وَأَبُو حَازِمٍ الْأَعْرَجِيُّ وَالثَّوْرِيُّ وَالْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَدَاوُدُ الطَّائِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ وَبِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ الْحَافِي وَغَيْرُهُمْ. وَقَدْ سَبَقَ قَوْلُهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - «مَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ أُفْتِنَ»، وَهُوَ مُحْمُولٌ عَلَى مَنْ أَتَاهُ لِطَلَبِ الدُّنْيَا، لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ ظَالِمًا جَائِرًا، أَوْ عَلَى مَنْ اعْتَادَ ذَلِكَ وَلَزِمَهُ فَإِنَّهُ يُخَافُ عَلَيْهِ الْإِفْتِنَانَ وَالْعُجْبُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فِي اللَّفْظِ الْآخِرِ «وَمَنْ لَزِمَ السُّلْطَانَ أُفْتِنَ».

وَخَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى وَالزُّهْرِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَغَيْرُهُمْ. وَمِنْ الْعَجَبِ أَنَّ أَبَا جَعْفَرَ الْعُقَيْلِيَّ ذَكَرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى فِي كِتَابِهِ فِي الضُّعْفَاءِ وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ كَانَ صَاحِبَ أُمَرَاءَ، وَعَنْ أَحْمَدَ أَيْضًا مَعْنَى قَوْلِ هُوَلَاءِ.

وَرَوَى الْحَلَّالُ عَنْهُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْأَخْبَارِ الَّتِي جَاءَتْ فِي أَبْوَابِ هُوَلَاءِ السَّلَاطِينِ إِذَا كَانَ لِلرَّجُلِ مَظْلَمَةٌ فَلَمْ يَرَأَنَّ هَذَا دَاخِلٌ فِي ذَلِكَ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا فَذَكَرَ لَهُ تَعْظِيمَهُمْ فَكَانَهُ هَابَ ذَلِكَ.

وَقَدْ قَالَ فِي رِوَايَةِ أَبِي طَالِبٍ وَسَأَلَهُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يُسَلِّمُ عَلَى السُّلْطَانِ وَيَقْضِي حَوَائِجَهُ: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ قَالَ: نَعَمْ لَعَلَّهُ يَخَافُهُ، يُدَارِيهِ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَرْبٍ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنْ الرَّسُولِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يَأْتِيهِ السُّلْطَانُ وَصَاحِبُ الْبَرِيدِ قَالَ: يُمَكِّنُهُ مُعَانَدَةً السُّلْطَانِ قُلْتُ: رَبِّمَا بَعَثَهُ إِلَيْهِ فِي الْحَاجَةِ مِنَ الْحَرَاجِ أَوْ فِي رَجُلٍ فِي السَّجَنِ قَالَ: هَذَا يَكُونُ مَظْلُومًا فَيَفْرُجُ عَنْهُ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ عَنْ أَبِيهِ: سَمِعْتُ أَبَا يُوسُفَ الْقَاضِيَّ يَقُولُ: خَمْسَةٌ تَحِبُّ عَلَى النَّاسِ مُدَارَاتُهُمْ الْمَلِكُ الْمَسْلُطُ وَالْقَاضِي الْمَتَأَوَّلُ وَالْمُرِيضُ وَالْمَرْأَةُ وَالْعَالِمُ لِيُقْتَبَسَ مِنْ عِلْمِهِ. فَاسْتَحْسَنْتُ ذَلِكَ.

وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْنِيِّ **رحمه الله**: وَمِنْ صِفَاتِ عُلَمَاءِ الْآخِرَةِ أَنْ يَكُونُوا مُنْقَبِضِينَ عَنْ السَّلَاطِينِ، مُحْتَرِزِينَ عَنْ مُخَالَطَتِهِمْ.

قَالَ حُدَيْفَةُ: - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - إِيَّاكُمْ وَمَوَاقِفَ الْفِتَنِ قِيلَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: أَبْوَابُ الْأَمْرَاءِ يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ عَلَى الْأَمِيرِ فَيُصَدِّقُهُ بِالْكَذِبِ وَيَقُولُ: مَا لَيْسَ فِيهِ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ **رحمه الله**: إِذَا رَأَيْتُمْ الْعَالِمَ يَغْشَى الْأَمْرَاءَ فَاحْذَرُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ لِيَصُّ وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنَّكَ لَنْ تُصِيبَ مِنْ دُنْيَاهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابُوا مِنْ دِينِكَ أَفْضَلَ مِنْهُ، انْتَهَى كَلَامُهُ. وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ الْوَرَعِ وَقَدْ سَبَقَ عَنْ بَعْضِهِمْ فِعْلُ ذَلِكَ.

وَالظَّاهِرُ كَرَاهَتُهُ إِنْ خِيفَ مِنْهُ الْوُقُوعُ فِي مُحْظُورٍ، وَعَدَمُهَا إِنْ أَمِنَ ذَلِكَ فَإِنْ عَرِيَ عَنْ الْمُفْسَدَةِ وَاقْتَرَنَتْ بِهِ مَصْلَحَةٌ مِنْ تَحْوِيلِهِ لَهُمْ وَوَعْظِهِ إِيَّاهُمْ وَقَضَاءِ حَاجَتِهِ كَانَ مُسْتَحَبًّا وَعَلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ يُنَزَّلُ كَلَامُ السَّلَفِ وَأَفْعَالُهُمْ - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** - وَهَذَا مَعْنَى كَلَامِ ابْنِ الْبَنَّا مِنْ أَصْحَابِنَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْقَوِيِّ فِي بَابِ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ فَإِنَّهُ قَالَ: إِنَّهَا الْمَذْكُورُ بِالذَّمِّ مَنْ

خَالَطَهُمْ فَسَعَى بِمُسْلِمٍ أَوْ أَقْرَأَ وَسَاعَدَ عَلَى مُنْكَرٍ، فَيَجِبُ حَمْلُ أَحَادِيثِ التَّغْلِيظِ فِيهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا جَمْعًا بَيْنَ الْأَدَلَّةِ.

وَأَمَّا السُّلْطَانُ الْعَادِلُ فَالِدُخُولُ عَلَيْهِ وَمُسَاعَدَتُهُ عَلَى عَدْلِهِ مِنْ أَجْلِ الْقُرْبِ فَقَدْ كَانَ عُرْوَةً بِنِ الرَّبِيزِ وَابْنِ شَهَابٍ وَطَبَقْتُهُمَا مِنْ خِيَارِ الْعُلَمَاءِ يَصْحَبُونَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَكَانَ الشَّعْبِيُّ وَقَيْصَةَ بْنَ ذُوَيْبٍ وَالْحَسَنُ وَأَبُو الزِّنَادِ وَمَالِكُ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُمْ يَدْخُلُونَ عَلَى السُّلْطَانِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَالسَّلَامَةُ الْإِنْقِطَاعُ عَنْهُمْ كَمَا اخْتَارَهُ أَحْمَدُ وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

قَالَ ابْنُ الْبَيْتَاءِ: لَا يَغْتَرُّ مَنْ هُوَ دَاخِلٌ فِي الْعِبَادَةِ بِهَا وَرَدَّ فِي التَّغْلِيظِ عَلَى الْعُلَمَاءِ بِمَا يَرَاهُ مِنْ فِعْلِهِمْ الَّذِي رَبَّمَا خَفِيَ عَلَيْهِ وَجْهُ حِلِّهِ وَتَأْوِيلِهِ فَيَتْرُكُ مُجَالَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَيَهْجُرُهُمْ فَيُفْضِي بِهِ حَالَهُ إِلَى اسْتِمْرَارِ جَهْلِهِ، وَاعْلَمْهُ يُفْضِي إِلَى أَنْ لَا تَصِحَّ عِبَادَتُهُ لِعَارِضٍ لَا يَعْلَمُهُ، فَإِذَا بَدَأَ لَكَ مِنْ عَالَمٍ زَلَّةٌ فَاسْأَلْهُ عَنْ حُكْمِ مَا فَعَلَ كَذَا فَإِنْ كَانَ لَهُ عُدْرٌ أَبْدَاهُ فَتَخَلَّصْتَ مِنْ إِثْمِ غَيْبَتِهِ أَوْ خَطَرَ الْإِقْتِدَاءِ بِهِ، وَإِنْ كَانَ مُخْطِئًا عَرَفَ الْحَقَّ عَلَى نَفْسِهِ وَعَرَفَ مَعْرَى كَلَامِكَ وَأَنَّكَ تُنْكَرُ عَلَيْهِ وَهَذِهِ الطَّرَائِقُ أَدَّبَ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدَهُ دَاوُدَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي النَّعْجَةِ أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

وَذَكَرَ ابْنُ الْجَوْنَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الدُّخُولُ عَلَى الْأَمْرَاءِ وَالْعَمَالِ وَالظُّلْمَةِ وَاسْتَدَلَّ بِالْحَبْرِ وَالْأَثَرِ وَالْمَعْنَى قَالَ: إِلَّا بَعْدَرَيْنِ: أَحَدُهُمَا الزَّامُ مِنْ جِهَتِهِمْ يُخَافُ الْخِلَافُ فِيهِ الْأَدَى الثَّانِي أَنْ يَدْخُلَ لِيَرْفَعَ ظُلْمًا عَنْ مُسْلِمٍ فَيَجُوزُ بِشَرِّطٍ أَنْ لَا يَكْذِبَ وَلَا يُثْنِي وَلَا يَدْعُ نَصِيحَةً يَتَوَقَّعُ لَهَا قَبُولًا أَنْتَهَى كَلَامُهُ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَجُوزَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ يَكُونُ فِيهِ كَفُّ ظُلْمٍ عَظِيمٍ؛ لِأَنَّهُ يَجُوزُ سُلُوكُ أَدْنَى الْمُفْسِدَتَيْنِ وَالتَّزَامُهَا بِكَفِّ أَعْلَاهُمَا وَرَفْعِهَا.

قَالَ ابْنُ الْجَوْنَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ زَائِرًا فَجَوَابُ السَّلَامِ لَا بُدَّ مِنْهُ كَذَا قَالَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي هَجْرِ الْمُبْتَدِعِ وَالْمَجَاهِرِ بِالْمَعْصِيَةِ قَالَ: وَأَمَّا الْقِيَامُ وَالْإِكْرَامُ فَلَا تَحْرُمُ مُقَابَلَتَهُ لَهُ عَلَى إِكْرَامِهِ فَإِنَّهُ بِإِكْرَامِ الْعِلْمِ وَالِدِّينِ مُسْتَحَقُّ الْحَمْدِ، كَمَا أَنَّهُ بِالظُّلْمِ مُسْتَحَقُّ لِلذَّمِّ إِلَى أَنْ قَالَ: ثُمَّ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْصَحَهُ وَيُعَرِّفَهُ تَحْرِيمَ مَا يَفْعَلُهُ مِمَّا لَا يَدْرِي أَنَّهُ مُحَرَّمٌ، فَأَمَّا إِعْلَامُهُ بِتَحْرِيمِ الظُّلْمِ وَشُرْبِ الْحَمْرِ فَلَا فَائِدَةَ فِيهِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَخَوْفَهُ مِنْ رُكُوبِ الْمَعْصِيَةِ مَهْمَا ظَنَّ أَنَّ التَّخْوِيفَ يُؤَثِّرُ فِي قَلْبِهِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُرْشِدَهُ إِلَى الْمَصَالِحِ، وَمَتَى عَرَفَ طَرِيقًا لِلشَّرْعِ يَحْصُلُ بِهِ غَرَضُ الظَّالِمِ عَرَفَهُ إِيَّاهُ.

(الحال الثالث) أَنْ يَعْتَزَلَ عَنْهُمْ فَلَا يَرَاهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ وَالسَّلَامَةَ فِي ذَلِكَ ثُمَّ يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَقِدَ بُغْضَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَا يُحِبُّ بَقَاءَهُمْ وَلَا يُثْنِي عَلَيْهِمْ وَلَا يَسْتَخِيرُ عَنْ أَحْوَالِهِمْ وَيَتَقَرَّبُ إِلَى الْمُتَّصِلِينَ بِهِمْ وَلَا يَتَأَسَّفُ عَلَى مَا يَفُوتُهُ بِسَبَبِ مُفَارَقَتِهِمْ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُلُوكِ يَوْمٌ وَاحِدٌ: إِمَّا يَوْمٌ مَضَى فَلَا يَجِدُونَ لَدُنَّهُ، وَأَنَا وَإِيَّاهُمْ فِي غَدٍ عَلَى وَجَلٍ، وَإِنَّمَا هُوَ الْيَوْمُ فَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ فِي الْيَوْمِ.

وَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ: الْعَدْلُ تَحْصِيلُ مَنْفَعَتِهِ وَدَفْعُ مَضَرَّتِهِ، وَعِنْدَ الْاجْتِمَاعِ يُقَدَّمُ أَرْجَحُهُمَا لِتَحْصِيلِ أَكْثَرِ الْمَصْلَحَتَيْنِ بِتَفْوِيتِ أَذْنَاهُمَا وَدَفْعِ أَكْثَرِ الْمَفْسَدَتَيْنِ بِاحْتِمَالِ أَذْنَاهُمَا.

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: ثَلَاثَةٌ لَا تَبْلُغْنَ نَفْسَكَ بِهِمْ: لَا تَدْخُلَنَّ عَلَى ذِي سُلْطَانٍ وَإِنْ قُلْتَ: أَمْرُهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَلَا تَخْلُونَ بِأَمْرَاءَ وَإِنْ قُلْتَ: أَعْلَمُهَا كِتَابَ اللَّهِ، وَلَا تُضْعِفَنَّ بِسَمْعِكَ لِذِي هَوَى فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا يَعْلُقُ بِقَلْبِكَ مِنْهُ.

قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ: فَالاجْتِمَاعُ بِالسُّلْطَانِ مِنْ جِنْسِ الْإِمَارَةِ وَالْوِلَايَةِ، وَفِعْلُ ذَلِكَ لِأَمْرِهِ وَمَنْبِهِ بِمَنْزِلَةِ الْوِلَايَةِ بِنَيْتِ الْعَدْلِ وَإِقَامَةِ الْحَقِّ، وَاسْتِمَاعُ كَلَامِ الْمُبْتَدِعِ لِلرَّدِّ عَلَيْهِ مِنْ جِنْسِ

الْجِهَادِ، وَأَمَّا الْخُلُوعُ بِالْمَرْأَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ فَمُحْرَمٌ فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ دُخُولُ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ فِيهَا يُوجِبُ عَلَيْهِ أُمُورًا أَوْ يُحْرِمُ عَلَيْهِ أُمُورًا لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْأُمُورُ مِمَّا جَرَتْ الْعَادَةُ بِتَرْكِهَا وَاجِبِهَا وَفِعْلٍ مُحْظُورِهَا.

وَهَذَا قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الدَّجَالِ: «فَمَنْ سَمِعَ بِهِ فَلْيَنَاقِ عَنْهُ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ الدَّجَالُ فَلَا يَزَالُ بِهِ مَا يَرَاهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ حَتَّى يَفْتِنَهُ ذَلِكَ».

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مِمَّا يُذَكَّرُ عَنْ طَوَائِفَ مِنَ السَّلَفِ مِنْ امْتِنَاعِهِمْ وَمَنْعِهِمْ مِنْ اسْتِمَاعِ كَلَامِ الْمُبْتَدِعَةِ خَشِيَةَ الْفِتْنَةِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ، وَأَمَّا مَنْ تَمَيَّ عَنْ ذَلِكَ لِلْهَجْرِ أَوْ لِلْعُقُوبَةِ عَلَى فِعْلِهِ فَذَلِكَ نَوْعٌ آخَرَ إِلَى أَنْ قَالَ: فَهَذِهِ الْأُمُورُ الْعَدْلُ فِيهِ أَنْ لَا يَطْلُبَ الْعَبْدُ أَنْ يُبْتَلَى بِهَا، وَإِذَا أُبْتَلِيَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصْبِرْ، وَالْإِسْتِعْدَادُ لَهَا أَنْ تُصِيبَهُ مِنْ غَيْرِ طَلَبِ الْإِبْتِلَاءِ بِهَا، فَهَذِهِ الْمِحْنُ وَالْفِتْنُ إِذَا لَمْ يَطْلُبْهَا الْمَرْءُ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا بَلْ أُبْتَلِيَ بِهَا ابْتِدَاءً أَعَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا بِحَسَبِ حَالِ ذَلِكَ الْعَبْدِ عِنْدَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ فِي طَلَبِهَا فِعْلٌ وَلَا قَصْدٌ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ ذَنْبًا يُعَاقَبُ عَلَيْهِ، وَلَا كَانَ مِنْهُ كِبَرٌ وَاحْتِيَالٌ مِثْلَ دَعْوَى قُوَّةٍ أَوْ ظَنٍّ كِفَايَةٍ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُجْذَلَ بِتَرْكِ تَوَكُّلِهِ وَيُوكَلْ إِلَى نَفْسِهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ يُؤْتَى مِنْ تَرْكِ مَا أَمَرَ بِهِ.

وَسَوَاءٌ كَانَ مُرَادُهُ بِهَا مُحْرَمًا أَوْ مُبَاحًا أَوْ مُسْتَحَبًّا، وَإِرَادَتُهُ بِهَا مُحْرَمًا زِيَادَةَ ذَنْبٍ، وَإِنْ أَرَادَ بِهَا الْمُسْتَحَبَّ فَقَدْ فَعَلَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ.

وَهَذَا مِمَّا يَدْمُ عَلَيْهِ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُونَ وَأَنْصَارٌ يَسْتَنْوَنَ بِسُنَّتِهِ وَيَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ ثُمَّ إِنَّهُ يَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِ خُلُوفٌ يَقُولُونَ: مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ».

وَالْتَعَرُّضُ لِلْفِتْنَةِ هُوَ مِنَ الذُّنُوبِ، فَالْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا أَمَرَ بِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ عِبَادَةٌ وَلَا يَسْتَعِينُ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِذَا أَوْجَبَ هُوَ بِنَفْسِهِ أَوْ حَرَّمَ هُوَ بِنَفْسِهِ خَرَجَ عَنِ الْأَوَّلِ، فَإِنْ وَثِقَ بِنَفْسِهِ خَرَجَ عَنِ الثَّانِي، فَإِذَا أَذْنَبَ بِذَلِكَ فَقَدْ يَتُوبُ بَعْدَ الذَّنْبِ فَيُعِينُهُ حِينَئِذٍ، وَقَدْ

يَكُونُ لَهُ حَسَنَاتٌ رَاجِحَةٌ يَسْتَحِقُّ بِهَا الْإِعَانَةَ، وَقَدْ يَتَدَارَكُهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ فَيَسْلَمُ أَوْ يُخَفَّفُ عَلَيْهِ
وَالْتَّوْبَةُ بِفِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرْكِ الْمُحْظُورِ فِي كُلِّ حَالٍ بِحَبْسِهِ لَيْسَتْ تَرْكُ مَا دَخَلَ فِيهِ فَإِنَّ ذَلِكَ قَدْ
لَا يُمَكِّنُهُ إِلَّا بِذُنُوبٍ هِيَ أَعْظَمُ مِنْ ذُنُوبِهِ مَعَ مَقَامِهِ فَتَدَبَّرْ هَذَا.

وَالْمُبْتَلَى مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ قَدْ يُفَرِّطُ بِتَرْكِ الْمَأْمُورِ وَفِعْلِ الْمُحْظُورِ حَتَّى يُخْذَلَ وَلَا يُعَانَ
فَيُؤْتَى مِنْ ذُنُوبِهِ لَا مِنْ نَفْسٍ مَا أُبْتَلِيَ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى
الْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران: ١٥٥] الْآيَةَ وَهَذَا كَثِيرٌ أَكْثَرُ مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ لَمْ
يَكُنْ مِنْهُمْ تَفْرِيطٌ وَلَا عُدْوَانٌ فَإِذَا أُبْتُلُوا أُعِينُوا قَالَ: وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ التَّعَرُّضَ لِلْفِتَنِ بِالْإِجَابِ
وَالْتَّحْرِيمِ بِالْعُهُودِ وَالثَّدْوِرِ وَطَلْبِ الْوِلَايَةِ وَتَمَيُّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ هُوَ مِنَ الذُّنُوبِ.
انْتَهَى كَلَامُهُ.

وَعَنْ دَاوُدَ الطَّائِبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ - وَقِيلَ: لَهُ أَرَأَيْتَ مَنْ يَدْخُلُ عَلَى هَوْلَاءٍ فَيَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ
قَالَ: أَخَافُ عَلَيْهِ السَّوْطَ قِيلَ: إِنَّهُ يَقْوَى قَالَ: أَخَافُ عَلَيْهِ السَّيْفَ قِيلَ: إِنَّهُ يَقْوَى قَالَ أَخَافُ
عَلَيْهِ الدَّاءَ الدَّفِينِ الْعُجْبَ.

وَعَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: إِذَا رَأَيْتَ الْقَارِيَّ يُلُوذُ بِالسُّلْطَانِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لِصٌّ،
وَإِنْ لَازَ بِالْأَغْنِيَاءِ فَمُرَّاءٍ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَخْدَعَ فَيُقَالُ: لَعَلَّكَ تَرُدُّ عَنْ مَظْلَمَةٍ أَوْ تَدْفَعُ عَنْ مَظْلُومٍ،
فَإِنَّ هَذِهِ خَدَعَةٌ مِنْ إِبْلِيسَ اتَّخَذَهَا فَجَازَ الْقُرَاءَ سَلَامًا.

وَقَالَ الْخَلَّالُ: أَتَبْنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْهُمْدَانِيَّ سَمِعَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ شَبَّوَيْهِ سَمِعَتْ أَبِي قَالَ:
قَدِمْتُ بَغْدَادَ عَلَى أَنْ أَدْخُلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ فَأَمَرَهُ وَأَمَهَاةً فَدَخَلْتُ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فَاسْتَسْرَتْهُ
فِي ذَلِكَ قَالَ: أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَقُومَ بِذَلِكَ قُلْتُ: لَهُ فَقَدْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى الصَّرْبِ
وَالْقَتْلِ وَقَدْ قَبِلْتُ ذَلِكَ قَالَ: فَقَالَ: لِي اسْتَسْرَ فِي هَذَا بَشْرًا وَأَخْبِرْنِي بِمَا يَقُولُ لَكَ.

فَأْتَيْتُ بَشْرًا، فَأَخْبَرْتَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ: لَا أَرَى لَكَ، أَخَافُ أَنْ تَخُونَكَ نَفْسُكَ قُلْتُ: فَإِنِّي أَصْبِرُ عَلَى ذَلِكَ قَالَ: لَا أَرَى لَكَ ذَلِكَ قُلْتُ: لِمَ؟ قَالَ: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْكَ بِقَتْلِ فَتَكُونَ سَبَبَ دُخُولِهِ إِلَى النَّارِ قَالَ: فَأْتَيْتُ أَحْمَدَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ لَكَ؟

قَالَ: وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي هَارُونَ أَنَّ مُنَى الْأَنْبَارِيِّ حَدَّثَنِي أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: مَا تَقُولُ فِي السُّلْطَانِ إِنْ أُرْسِلَ إِلَيَّ يَسْأَلُنِي عَنِ الْعَمَالِ أَخْبِرْ بِمَا فِيهِمْ قَالَ: تُدَارِي السُّلْطَانُ قُلْتُ: فَالْحَدِيثُ الَّذِي جَاءَ «كَلِمَةً حَقٌّ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ» فَقَدَّمَ هَذَا وَكَانَ عِنْدَهُ أَنْ هَذَا أَفْضَلُ.

وَقَالَ الْمُرُوزِيُّ: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ وَنَحْنُ بِالْعَسْكَرِ يُنَاشِدُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَيَسْأَلُهُ الدُّخُولَ عَلَى الْخَلِيفَةِ لِيَأْمُرَهُ وَيَنْهَاهُ وَقَالَ لَهُ: إِنَّهُ يَقْبَلُ مِثْلَ هَذَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهِ يَدْخُلُ عَلَى ابْنِ طَاهِرٍ فَيَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ،

فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: تَحْتَجُّ عَلَيَّ بِإِسْحَاقَ فَأَنَا غَيْرُ رَاضٍ بِفِعْلِهِ، مَا لَهُ فِي رُؤْيَيْهِ خَيْرٌ، وَلَا لِي فِي رُؤْيَيْهِ خَيْرٌ، يَجِبُ عَلَيَّ إِذَا رَأَيْتَهُ أَنْ أَمُرَهُ وَأَنْهَاهُ، الدُّنُوُّ مِنْهُمْ فِتْنَةٌ، وَالْجُلُوسُ مَعَهُمْ فِتْنَةٌ، نَحْنُ مُتَبَاعِدُونَ مِنْهُمْ مَا أَرَانَا نَسَلِمُ فَكَيْفَ لَوْ قَرَّبْنَا مِنْهُمْ؟

قَالَ الْمُرُوزِيُّ وَسَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أُخْتِ ابْنِ الْمُبَارَكِ يُنَاطِرُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَيَكَلِّمُهُ فِي الدُّخُولِ عَلَى الْخَلِيفَةِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَدْ قَالَ خَالِكَ يَعْنِي ابْنَ الْمُبَارَكِ: لَا تَأْتِهِمْ، فَإِنْ أَتَيْتَهُمْ فَاصْدُقْهُمْ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ لَا أَصْدُقْهُمْ.

وَقَالَ فِي الْفُنُونِ: أَكْثَرُ مَنْ يُخَالِطُ السُّلْطَانَ لِشِدَّةِ حِرْصِهِمْ عَلَى تَنْفِيحِ نُفُوسِهِمْ عَلَيْهِ بِإِظْهَارِ الْفَضَائِلِ وَتَدْقِيقِ الْمَذَاهِبِ، فِي دَرَكِ الْمُبَاغِي وَالْمَطَالِبِ يَبْلُغُونَ مَبْلَغًا يَعْمَلُونَ بِهِ عَنِ الصَّوَابِ؛ لِأَنَّ السَّلَاطِينَ دَأْبُهُمُ الْإِسْتِشْعَارُ، وَالْخَوْفُ مِنْ دَوَاهِي الْأَعْدَاءِ فَإِذَا أَحْسَسُوا مِنْ إِنْسَانٍ تَنْعَرًا وَلَمْحًا تَحَرُّرًا مِنْهُ بِعَاجِلِ أَحْوَالِهِمْ، وَالتَّحَرُّزُ نَوْعٌ إِفْصَاءٍ فَإِنَّهُ لَا قُرْبَةَ لِمَنْ لَا تُؤْمَنُ مَكَائِدُهُ وَعَنْهُمْ يَفْتَعِلُونَ الدَّوَاهِي لِمَا عَسَاهُ يَلْمُ بِجَانِبِهِمْ، فَإِنَّ التَّعَافُلَ أَصْلَحَ لِمُخَالَطَتِهِمْ مِنَ التَّجَالُدِ وَإِظْهَارِ اللَّمَحِ، فَإِنَّ لِلْسُّلْطَانِ كَنْزًا لَا يَجِبُ ظُهُورُهُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ وَيَخَافُ مِنْ تَكْشِفِ

أَحْوَالِهِ الدُّخُولَ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ الْخَبْرَةِ بِهِ، وَالْأُولَى فِي الْحِكْمَةِ أَنْ لَا يَنْكَشِفَ الْإِنْسَانَ بِخُلُقٍ فِي مَحَبُّوهِ وَلَا مَكْرُوهِهِ فَيَدْخُلَ عَلَيْهِ الْخَوْفُ مِنْهُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي كِتَابٍ فِي كِتَابِ "بَهْجَةِ الْمَجَالِسِ": يُقَالُ: شَرُّ الْأُمَرَاءِ أْبَعْدُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَشَرُّ الْعُلَمَاءِ أَقْرَبُهُمْ مِنَ الْأُمَرَاءِ.

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْنِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ "السِّرِّ الْمَصُونِ": أَمَّا السَّلَاطِينُ فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ وَمُعَاشَرَتِهِمْ فَإِيَّاهَا تُفْسِدُكَ أَوْ تُفْسِدُهُمْ وَتُفْسِدُ مَنْ يَقْتَدِي بِكَ، وَسَلَامَتُكَ مِنْ مُخَالَطَتِهِمْ أَبَعْدُ مِنَ الْعَيُوقِ، وَأَقْلُّ الْأَحْوَالِ فِي ذَلِكَ أَنْ تَمِيلَ نَفْسُكَ إِلَى حُبِّ الدُّنْيَا قَالَ الْمَأْمُونُ: لَوْ كُنْتُ عَامِيًّا مَا خَالَطْتُ السَّلَاطِينِ، وَمَتَى اضْطُرِرْتُ إِلَى مُخَالَطَتِهِمْ فَبِالْأَدَبِ وَالصَّمْتِ وَكَتْمِ الْأَسْرَارِ وَحِفْظِ الْهَيْبَةِ، وَلَا يُسْأَلُونَ عَنْ شَيْءٍ مَهْمَا أَمَكَنَّ.

وَقَدْ سَأَلَ الرَّشِيدُ الْأَضْمَعِيُّ عَنِ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ عَلَى الْحَبِيرِ سَقَطَتْ قَالَ لَهُ الرَّبِيعُ: أَسْقَطَ اللَّهُ أَضْرَاسَكَ أَمْ هَذَا مُخَاطَبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَصَادَفْتُهُ فِي سِرَارٍ مَعَ شَخْصٍ فَوَقَفْتُ سَاعَةً لَا يَرْفَعُ إِلَيَّ طَرْفَهُ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَامِرُ الشَّعْبِيِّ، فَقَالَ لَمْ نَأْذَنْ لَكَ حَتَّى عَرَفْنَا اسْمَكَ فَقُلْتُ: نَقْدَةٌ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ رَأَيْتُ رَجُلًا فِي النَّاسِ ذَا هَيْبَةٍ وَرَوَاءٍ وَلَمْ أَعْرِفْهُ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ الْخُلَفَاءُ: تَسْأَلُ وَلَا تُسْأَلُ هَذَا الْأَخْطَلُ الشَّاعِرُ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَذِهِ أُخْرَى قَالَ: وَخُضْنَا فِي الْحَدِيثِ فَمَرَّ لَهُ شَيْءٌ لَمْ أَعْرِفْهُ فَقُلْتُ: اكْتُبْنِيهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ الْخُلَفَاءُ: تُسْتَكْتَبُ. فَقُلْتُ: هَذِهِ ثَالِثَةٌ، وَذَهَبْتُ لِأَقُومَ فَأَشَارَ إِلَيَّ بِالْقَعُودِ فَقَعَدْتُ حَتَّى خَفَّ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ.

ثُمَّ دَعَا بِالطَّعَامِ فَقَدِّمَتْ إِلَيْهِ الْمَائِدَةُ فَرَأَيْتُ عَلَيْهَا صُحُفًا فِيهَا مَخٌّ وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ يُقَدِّمَ إِلَيْهِ الْمَخُّ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، فَقُلْتُ: هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَجِفَانٍ

كَالْجَوَابِ وَقُدُورِ رَاسِيَاتٍ { [سبأ: ١٣] ، فَقَالَ: يَا شَعْبِي مَا زَحْتُ مِنْ لَمْ يُبَارِزْكَ، فَقُلْتُ:
هَذِهِ رَابِعَةٌ.

فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الطَّعَامِ وَقَعَدَ فِي مَجْلِسِهِ وَأَنْدَفَعْنَا فِي الْحَدِيثِ وَذَهَبْتُ لِأَتَكَلَّمَ فَمَا ابْتَدَأْتُ
بِشَيْءٍ مِنَ الْحَدِيثِ إِلَّا اسْتَلَّهُ مِنِّي فَحَدَّثَ النَّاسَ وَرُبَّمَا زَادَ فِيهِ عَلَى مَا عِنْدِي وَلَا أَنْشِدُهُ شِعْرًا
إِلَّا فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَعَمَّنِي وَأَنْكَسَرَ بَالِي.

فَمَا زِلْنَا عَلَى ذَلِكَ بَقِيَّةَ نَهَارِنَا، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ وَقْتِ التَّمَتِّ إِلَيَّ.

وَقَالَ لِي يَا شَعْبِي قَدْ وَاللَّهِ تَبَيَّنَتْ الْكَرَاهَةُ فِي وَجْهِكَ لِمَا فَعَلْتَ وَتَدْرِي أَيَّ شَيْءٍ حَمَلَنِي
عَلَى ذَلِكَ قُلْتُ: لَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: لَيْلًا تَقُولُ: إِنْ فَازَ هُوَ لَأَيُّهَا بِالْمُلْكِ لَقَدْ فُزْنَا نَحْنُ
بِالْعِلْمِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْرِفَكَ أَنَا فُزْنَا بِالْمُلْكِ وَشَارَكْنَاكَ فِيهَا أَنْتَ فِيهِ، ثُمَّ أَمَرَ لِي بِهَالٍ فَقُمْتُ مِنْ
عِنْدِهِ وَقَدْ زَلَّتْ أَرْبَعُ زَلَّاتٍ.

وَقَالَ: حَدَّثَ بَعْضُهُمُ الْمُأْمُونَ فَقَالَ: اسْمَعْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ فَقَالَ الْمُأْمُونَ: أَخْرِجُوهُ.

فَلَيْسَ هَذَا مِنْ سَمَارِ الْمُلُوكِ وَحَدَّثَهُ الْحَسَنُ اللَّؤْلُؤِيُّ وَهُوَ خَلِيفَةٌ فَنَامَ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: يَا غَلَامُ خُذْ بِيَدِهِ فَلَيْسَ هَذَا مِنْ سَمَارِ الْمُلُوكِ وَإِنَّمَا يَصْلُحُ أَنْ يُعْتَبَرَ
فِي مُحْرَمٍ صَادَ ظَبْيًا.

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: أَشَقَى النَّاسِ بِالسُّلْطَانِ صَاحِبُهُ، كَمَا أَنَّ أَقْرَبَ الْأَشْيَاءِ إِلَى النَّارِ أَسْرَعُهَا
اخْتِرَاقًا قَالَ الشَّاعِرُ:

فَلَا يَكُنْ لَكَ فِي أَفْنَائِهِمْ ظِلٌّ	إِنَّ الْمُلُوكَ بَلَاءٌ حَيْثُمَا حَلُّوا
جَارُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ مَلُّوا	مَاذَا تَوَمَّلْ مِنْ قَوْمٍ إِذَا سَخَطُوا
وَاسْتَقْلُوكَ كَمَا يُسْتَقْلُ الْكَلُّ	وَإِنْ مَدَحْتَهُمْ ظَنُّوكَ تَخَدُّعُهُمْ

فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ عَنِ آبَائِهِمْ أَبَدًا إِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى آبَائِهِمْ ذُلٌّ

وَيُقَالُ: لَا تَعْتَرِزْ بِالْأَمِيرِ، إِذَا غَشَّكَ الْوَزِيرُ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ لَا تَتَّقِ بِالْأَمِيرِ، إِذَا خَانَكَ الْوَزِيرُ.

جَلَسَ مُعَاوِيَةُ يُأْخِذُ الْبَيْعَةَ عَلَى النَّاسِ بِالْبَرَاءِ مِنْ عَلِيٍّ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا نَطِيعُ أَحْيَاءَكُمْ وَلَا نَبْرَأُ مِنْ أَمْوَاتِكُمْ فَالْتَفَتَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ فَقَالَ: يَا رَجُلُ فَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا.

وَكَانَ يُقَالُ: إِذَا نَزَلَتْ مِنَ الْوَلِيِّ بِمَنْزِلَةِ الثَّقَةِ فَاعْزِلْ عَنْهُ كَلَامَ الْحَنَاءِ وَالْمَلَقِ، وَلَا تُكْثِرَنَّ لَهُ الدُّعَاءَ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يُشْبِهُ الْوَحْشَةَ. وَعَظَّمَهُ وَقَرَّرَهُ فِي النَّاسِ.
قَالَ الْفَرَمُودِيُّ:

قُلْ لِيُبْصِرِ وَالْمَرْءُ فِي دَوْلَةِ السُّلْطَانِ أَعْمَى مَا دَامَ يُدْعَى أَمِيرًا

فَإِذَا زَالَتِ الْوِلَايَةُ عَنْهُ وَاسْتَوَى بِالرِّجَالِ كَانَ بَصِيرًا

كَانَ يُقَالُ: ثَلَاثَةٌ مَنْ عَارَظَهُمْ رَجَعَتْ عِزَّتُهُ ذُلًّا، السُّلْطَانُ وَالْعَالِمُ وَالْوَالِدُ وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: فِي أَثْنَاءِ كَلَامٍ لَهُ أَرْبَعَةٌ لَا يُسْتَحْيَا مِنْ خِدْمَتِهِمُ السُّلْطَانُ وَالْوَالِدُ وَالضَّيْفُ وَالِدَابَّةُ، وَذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي مَكَانٍ آخَرَ وَلَمْ يَعِزْ إِلَى أَحَدٍ حَمْسَةٌ لَا يُسْتَحْيَا مِنْ خِدْمَتِهِمُ السُّلْطَانُ وَالْوَالِدُ وَالْعَالِمُ وَالضَّعِيفُ وَالِدَابَّةُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

قَالُوا تَقَرَّبْ مِنَ السُّلْطَانِ قُلْتُ لَهُمْ يُعِيدُنِي اللَّهُ مِنْ قُرْبِ السَّلَاطِينِ

إِنْ قُلْتُ دُنْيَا فَلَا دُنْيَا لِمَتَحَنِّ أَوْ قُلْتُ دِينًا فَلَا دِينَ لِمَفْتُونِ

وَمِنَ الْأَمْثَالِ فِي صُحْبَةِ السُّلْطَانِ: السُّلْطَانُ كَالنَّارِ إِنْ بَاعَدْتَهَا بَطَلَ نَفْعُهَا، وَإِنْ قَارَبْتَهَا عَظُمَ ضَرَرُهَا صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَائِبِ الْأَسَدِ يَهَابُهُ النَّاسُ، وَهُوَ لِمَرْكَبِهِ أَهْيَبُ، أَجْرًا النَّاسِ عَلَى الْأَسَدِ أَكْثَرُهُمْ لَهُ رُؤْيَةٌ، إِذَا قَالَ السُّلْطَانُ لِعِمَّالِهِ هَاتُوا فَقَدْ قَالَ خُذُوا مِنْ خَدَمِ السُّلْطَانِ خَدَمَتَهُ الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ لَا أَمَانَ لَهُمْ: السُّلْطَانُ وَالْبَحْرُ وَالزَّمَانُ، مِثْلُ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ كَقَوْمٍ رَقُوا جَبَلًا ثُمَّ وَقَعُوا مِنْهُ فَكَانَ أَبْعَدُهُمْ مِنَ الْمُرْتَقَى أَقْرَبُهُمْ إِلَى التَّلْفِ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ لِي أَبِي إِنِّي أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَعْنِي عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُدْنِيكَ وَيُقَرِّبُكَ فَاخْفِظْ عَنِّي ثَلَاثًا: إِيَّاكَ أَنْ يُجَرِّبَ عَلَيْكَ كَذَبَةً، وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَإِيَّاكَ أَنْ تُفْشِيَ لَهُ سِرًّا. ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ ثَلَاثٌ وَأَيُّ ثَلَاثٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ كُلُّ وَاحِدَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ قَالَ: بَلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ خَيْرٌ مِنْ عَشْرَةِ أَلْفٍ.^(١)

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٤/١٢٨-١٤٠)، ط: مؤسسة الرسالة .

١١- أبو العاتية إسماعيل بن القاسم المتوفى سنة (٨٢٨) هـ

وقال رحمته الله (١):

عَجَبًا لِأَرْبَابِ الْعُقُولِ وَالْحِرْصِ فِي طَلَبِ الْفُضُولِ
سُلَّابُ أَكْسِيَّةِ الْأَرَا مِلِّ وَالْيَتَامَى وَالْكُهُولِ
وَالْجَامِعِينَ الْمُكْثِرِينَ مِنْ الْحِيَانَةِ وَالْغُلُولِ
وَالْمُؤْثِرِينَ لِدَارِ رِحْلَتِهِمْ عَلَى دَارِ الْخُلُولِ
وَضَعُوا عُقُوبَهُمْ مِنَ الدَّ نِيَا بِمَدْرَجَةِ السُّيُولِ
وَهُوَ بِأَطْرَافِ الْفُرِّ وَعَ وَأَغْفَلُوا عِلْمَ الْأُصُولِ
وَتَبَّعُوا جَمْعَ الْخُطَامِ وَفَارَقُوا أَثَرَ الرَّسُولِ

(١) "الجامع" لابن عبد البر (١/٥١٦) برقم (١١٠٢) .

١٢- محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠هـ

اتصل أخوه الهادي بن إبراهيم بالإمام صلاح الدين محمد بن علي المكنى بالناصر
فكتب إليه أخوه بهذه الأبيات الجميلة:

يَا سَبْطَ إِبرَاهِيمَ لَا تَنْسَ مَا	كَانَ عَلَيْهِ بِالتَّحَلِّيِّ أَبُوكُ
فَإِنَّ آبَاءَكَ لَوْ شَاهَدُوا	بَعْضَ الَّذِي تَفَعَّلَهُ أَبُوكُ
مَا لَكَ لَا تَسْلُكُ مَهْجًا وَقَدْ	سَنَّ لَنَا فِيهِ أَبُوكُ السُّلُوكُ
وَأَهْلُنَا مِنْ قَبْلِنَا طَالَمَا	عَاشُوا وَهُمْ فِيهِ لِحْرَبٍ سَلُوكُ
فَانْهَضْ إِلَى أوطَانِهِمْ شَاخِصًا	وَارْمُكْ بِهَا إِمًّا أَرَدْتَ الرُّمُوكُ
فَوَقْفُهُ فِي مَسْجِدٍ سَاعَةً	خَيْرٌ لَنَا مِنْ مُلْكِ مُلْكِ المُلُوكُ
هَذَا وَإِنْ كُنْتَ أَمْرًا عَاشِقًا	لِلْمُلْكِ لَا تَنْفَعُ لَدَيْكَ الشُّكُوكُ
وإِنَّمَا تَنْفَعُ مَنْ قَلْبُهُ	لَا يَغْتَرِيهِ فِي المُلُوكِ الشُّكُوكُ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ العِزَّ وَالزُّهْدَ	وَالفَضْلَ وَأَهْلَ المُلُوكِ طَرًّا هَلُوكُ
وَابْعَدُ عَنِ المُلْكِ وَأَرْبَابِهِ	وَإِنْ هُمْ يَوْمًا لَهُ أَهْلُوكُ
وَلَا تُطِعْهُمْ يَا شَقِيقِي وَلَوْ	وَلِيْتَهُمْ فِي أَمْرِهِمْ أَوْ وَلُوكُ
وَلَا تُضِعْ يَا سَيِّدِي حُلَّةً	وَحِلِيَّةً قَدْ صَاغَهَا أَوْلُوكُ
لَا تَنْظُرَنَّ يَوْمًا إِلَى قَائِمٍ	وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ نَاصِحُوكُ
وَعَاصِهِمْ إِنْ كُنْتَ ذَا هِمَّةٍ	هُمُ وَطَاوَعَهُمْ إِذَا نَاصِحُوكُ

وقد أجاب عليه الهادي مؤيداً رأي أخيه الأصغر، وممثلاً نصيحته مع أنه أكبر منه
بسبعة عشر عاماً.

فَارِقْ بَنِي الدُّنْيَا وَإِنْ أَكْرَمُوكَ وَاِرْفُضْ بَنِي المُلْكِ وَإِنْ قَرَّبُوكَ
يَوْمًا إِذَا مَا أَنْتَ أَزْصَيْتَهُمْ مَلُوكًا أَوْ أَسْخَطْتَهُمْ عَاتِبُوكَ
وَكَلَّ حَلَالًا خَشِينًا وَآتَدَمَ شُكْرًا، وَكُنْ لِلدَّهْرِ مِنْ يَلُوكَ
وَجَالِسِ الزُّهَادِ وَانْهَدِ إِلَى الـ عِبَادِ وَأَقْصِدْهُمْ وَإِنْ جَانِبُوكَ
فَإِنَّ بَعْضَ الفُضْلَا كَانَ فِي جَزِيرَةٍ يَعْبُدُ رَبَّ المُلُوكِ
وَكَانَ لَا يَأْكُلُ فِي عُمُرِهِ الـ مَحْمُودَ إِلَّا مِنْ لُحُومِ السَّمُوكِ
وَأَيْسَتِ الدُّنْيَا بِمَحْمُودَةٍ هِيَهَاتَ مَا فِيهَا لَنَا مِنْ سُلُوكِ
وَالزُّهْدُ مِنْهَا ثَوْبٌ عَزِيزٌ يَلْبَسُهُ جُودُهُ مَنْ يَحْكُوكَ
لَكِنَّهُ عَزُفْتِي لِابْسِ فِي ذَلِكَ الثَّوْبِ الشَّرِيفِ المَحُوكِ
وَقَدْ أَتَى يَا وَلَدِي مِنْكَ لِي نِظْمٌ هُوَ الدُّرُّ الَّذِي فِي السُّلُوكِ
كَأَنَّهُ الشَّمْسُ وَلَكِنَّهَا طَالِعَةٌ مَا إِنَّ لَهَا مِنْ دُلُوكِ
هُوَ اليَقِينُ الحَقُّ مَا خَالَطْتُ قَلْبِي فِيهَا قُلْتُ فِيهِ الشُّكُوكِ
مَا أَوْضَحَ النَّهْجَ الَّذِي جِئْتَهُ وَأَوْضَحَ المَسْلَكَ لَا فُضَّ فُوكِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّي يَا بَنَ أُمِّي عَلَى النـ هَجِ الَّذِي نَوَّرَهُ سَابِقُوكِ
وَكَلَّ حَالٍ غَيْرِ هَذَا وَإِنْ قِيلَ بِهِ لَا يَرْتَضِيهِ أَحْوَكَ
وَلَسْتُ بِالرَّاضِي بِهَا حَاجَةٌ أَحْسَنَ فِيهَا رَفْضُهَا وَالتُّرُوكِ
تِلْكَ الَّتِي مِنْ وَصْفِ أَصْحَابِهَا حَمَاقَةُ الرُّومِ وَكِبَرُ التُّرُوكِ^(١)

(١) رسالة: "إزالة التهمة ببيان ما يجوز وما يحرم من مخالطة الظلمة" لابن الأمير، وهي ضمن

رسائله، (٤٤٩-٤٥٢) ط: مكتبة أولاد الشيخ .

١٣. محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني المتوفى سنة ١١٨٢هـ رحمه الله

تولى بعض تلاميذه القضاء بعد أن بلغ سن الستين سنة فكتب إليه يعاتبه بهذه القصيدة يقول فيها:

ذبحت نفسك لكن لا بسكين	كما روينا عن طه ويسين
ذبحت نفسك والستون قد وفدت	عليك ماذا ترجى بعد ستين
ذبحت نفسك يا لهفي عليك وقد	كنا نعدك للتقوى وللدين
أي الثلاثة تغدوا في غداة غد	إذ يجمع الله أهل الدين والدون
فواحد في جنان الخلد مسكنه	واثنان في النار دار الخزي والهون
يأتي القيامة قد غلت يده فكن	يوم التغابن فيها غير مغبون
فإن يكن عادلاً فكنت وإن يكن الـ	أخرى ففي النار من أقاران قارون
فإن تقل أكرهونا كان ذا كذباً	فنحن نعرف أحوال السلاطين
وإن تقل حاجت مست فربتما	فأين صبرك من حين إلى حين
والله وصى به في الذكر في سور	كم في الحواميم منه والطواسين
قد شد خير الورى في بطنه حجراً	ولو أراد أتاه كل مخزون
مامات و الله عالم أبداً	سل التواريخ عنه والدواوين
ليس القضاء مكسباً للرزق نعرفه	كما عرفناه في أهل الدكاكين
إلا لمن للرشا كفاه قد بسطت	بسط اللصوص شباكاً للثعابين
سل الهد والغنى ممن خزائنه	سبحانه بين حرف الكاف والنون
وحيث قد صرت مذبوحاً فخذ جملاً	للنصح ما بين تخشين وتلين

إياك إياك كتاباً تحاهمُ
واحذر حجاباً وحُجَّاباً مع خدم
إنسًا وهم مثل إخوان الشياطين
فهمهم أكل أموا المساكين
وجانب الرشوة الملعون قابضها
نصاً فسحقاً لإخوان الملاعين
وفي الرشاخفيات ويعرفها
من كان ذا همة في الحفظ للدين
كم حاكم بقرين السوء مقرون
واحذر قريناً تقل بئس القرين غداً
ولا تقل ذا أمين الشرع أرسله
كم رأينا أميناً غير مأمون
واحذر وكيلاً يريك الحق باطله
يزفه بين تنميق وتحسين
أحكام رجم بتبخيت وتخمين
ولا تجعلن بيوت الله محكمة
لا تجعلن بيوت الله محكمة
لتنظرن بين أقوام صراخهم
لا يستطيع المصلي من صراخهم
صراخ ثكلى ولكن غير محزون
يأتي بفرض ولا يأتي بمسنون
وثمة أشياء ما بينتها لك في
إن عشت سوف ترى منها عجائبها
نظمي وتعرفها من غير تبين
وإن كان قلبك حي غير مفتون
ومن يمت قلبه لا يهتدي أبداً
لو جئت بصحاحات البراهين
هذي النصائح إن كان القبول لها
مهرًا ظفرت غداً بالخرد العين
مالم ظفرت أنا بالفوز منفرداً
بأجر نصحي يقيناً غير مظنون
ثم الصلاة على المختار من مضر
وآله السادة الغر الميامين^(١)

(١) "إزالة التهمة" (٤٤٩) و(٤٦٢).

١٤- شيخنا العلامة مقبل بن هادي الوادعي المتوفى سنة ١٤٢٢ هـ رحمه الله

شيخنا مقبل رحمه الله له كلام كثي رفي تحذير طلاب العلم من ترك العلم و اللهو و وراء الدنيا و التسلق إلى المناصب و الكراسي لما عايشه من كثير من الدعاة الاسلاميين الذين ضيعوا ما عندهم من العلم على حساب الدنيا فمن كلامه رحمه الله في كتابه المصارعة^(١) تحت عنوان نصيحتي للعلماء.

يقول رحمه الله: العلم شأنه رفيع وهو أرفع من الملك و الرئاسة، و في الصحيحين من حديث معاوية رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

و روى الإمام مسلم في "صحيحه" عن عمر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ».

و رب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

و يقول أيضاً: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩].

فنصيحتي لعلماؤنا الأفاضل: أن يتعدوا عن الدنيا التي تشغلهم عن ذكر الله، و عن أداء الأمانة العلمية، و ليكن الميزان هو قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

(١) المصارعة (٥٩-٦٠)، ط: مكتبة صنعاء الأثرية.

إلى أن قال: فالعلماء منزلتهم رفيعة، ولقد كان علمائنا المتقدمون رحمهم الله تعالى كانوا يفرون من الدنيا، وكانوا يفرون من أبواب السلاطين، من أجل هذا فالسلاطين كانوا يهابونهم.

حتى إن أمراء مصر كانوا يهابون الليث بن سعد، وأراد بعضهم أن يشي به عند المنصور، وأن يوهمه أن الليث بن سعد يريد أن ينازع المنصور في الخلافة، فقال بعضهم:

لعبد الله عبد الله عندي نصائح حكمتها في السر وحدي

أمير المؤمنين تلاف مصر فإن أميرها ليث بن سعد

طلب ثلاث نفر منهم: وكيع بن الجراح، وعبد الله بن إدريس والظاهر أن الثالث: هو حفص بن غياث، طلب هؤلاء للقضاء أما حفص بن غياث فوافق، وأما عبد الله بن إدريس، فأوهم أنه أبله، وأبى أن يدخل في القضاء، وأما وكيع بن الجراح، فتحيل بحيلة طريفة، فقال: يا أمير المؤمنين والله - وأشار بإصبعه إلى عينه - ما رأيت بهذه منذ سنة، وهو يريد إصبعه، والخليفة يظن أنه أراد عينه، فأعفاه عن القضاء.

ولقد مات سفيان الثوري مختفياً من المهدي، وطلب ذات مرة، ودخل على الخليفة العباسي - لا أذكر أهو المهدي أم المنصور - فصار يظهر أنه أبله، فصار يقول: ما شاء الله ما أحسن مفارشكم بكم، اشترتيموها ثم يقول: بي بول، في بول، في بول، ويخرج مكن الباب، وبعدها ينطلق فلا يرجع إليهم، وهكذا.

وكان يتجر ويقول: لولا حرفتي لتمندلوا بي، أي: لاتخذوني كالمندبل يتمسحون به.

هكذا إخواني في الله، كان علماءنا، يفرون من الوظيفة، بخلاف معاصرنا، فإنه يسيل لها لعابهم، بل ربما يفني أحدهم عمره في طلب العلم، وفي النهاية ينتهي به الحال إلى أن يعطي الرشوة من أجل أن يكون قاضياً، إلى آخر ما قال.

وسئل الشيخ كما في "إجابة السائل" (١):

س (١٤٣): ما حكم من يجوز الدخول في الجيش والشرطة، ومرافق الحكومة، وقد أفتى بهذا بعض العلماء؟ مع العلم أنّ الذي يعمل ذلك سيرتكب بعض المعاصي، كحلق الحلية، وهم يحتجون في هذا بأنه من باب ارتكاب أخف المفسدتين، فإنّك إن لم تدخل فسيأخذ هذا المكان من هو أشر منك، وفي هذا مفسدة كبرى على المسلمين في العمل؟

الجواب: الذي أنصح كل أخ أن لا يرتكب محرماً في الدخول في الوظيفة، ففيه من هو أعظم من حلق اللحية - حلق اللحية محرم ولا يجوز - إنك ستخضع للقانون، وتخضع للنظام، وهذا خضوع لغير الله، ورب العزة يقول في كتابه الكريم: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: ٢١].

وأما قولهم: إنّ سيأتي الشيوعي البعثي ويأخذ المنصب، فأنت في هذه الحالة لن تستطيع أن تسدّ المكان وربما يكون الشيوعي أو البعثي من فوقك، وأنت تنفذ أوامره، فأنصح كل مسلم أن لا يدخل في عمل يرتكب فيه محرماً.

وإن كان شعار الجيوش «سورة براءة» دخلت سورة براءة تعتبر تعليماً للجيوش الإسلامية. وأما أن يكون لخدمة الكراسي، فأنا أنصحك ألا تدخل في الجيش، وأن تبعد عنه، وأنت بحالتك هذه ما تستطيع أن تحقق شيئاً للإسلام، لكن في مسجدك وفي مدرستك، تستطيع أن تحقق للإسلام الكثير والله المستعان. الخ.

وفي سؤال آخر: (٢)

(١) إجابة السائل عن أهم المسائل (٢٧٤) ط: مكتبة صنعاء الأثرية .

(٢) إجابة السائل (٢٧٦) .

س(١٥): ما حكم من يقدم على الوظيفة من أجل مزاحمة أعداء الإسلام وهو يعلم أنه سيرتكب بعض المعاصي ويقول: إن هذه مفسدة عظيمة تقدم عليها مفسدة المعاصي الناتجة عن دخول مثل هذه الوظائف، ويحتج البعض بأن هذا باب من أبواب الدعوة في تلك الأماكن والوظائف وأنه تجوز المعصية من أجل مصلحة الدعوة. فما هو القول فيما إذا كانت هذه المصالح كلها محتملة غير أكيدة ومع ذلك ترتكب من أجل تحصيلها المعاصي والآثام بحجة درء المفسدة الأكبر وبحجة جواز المعصية من أجل مصلحة الدعوة؟.

أما مصلحة الدعوة فباب واسع دعا الشيطان إليه كثيراً من الناس . الله سبحانه وتعالى يقول لرسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾ [الغاشية: ٢٢].

ويقول سبحانه في كتابه الكريم: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [هود: ١١٢].

والنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: " قل آمنت بالله ثم استقم".

والمشركون كانوا يودون أن يندمج والنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - معهم ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: ٩] ، وكان أخف عليهم من أن يعيب آهتهم ويعيب دينهم، ولكن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - أبى وقال: « يا أيها الناس! قولوا لا إله إلا الله تفلحوا».

والمعاصي ما تكون سبب للنصر، ونحن لسنا مفوضين في دين الله، والنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - يقول: « هل تُنصرونَ وتُرزقونَ إلاَّ بضَعْفائِكُمْ »، فالنصر هو من عند الله علينا أن نعمل بالأسباب والنصر من عند الله.

وهؤلاء المدندنون بهذه الفكرة لهم على هذه الحالة لهم زمن طويل، ماذا حققوا للإسلام؟ وماذا استطاعوا أن يعملوا؟ قوانين مستوردة من أمريكا وروسيا وفرنسا. ثم

بعد ذلك تأتي ويأتيك الأمير: حسب النظام ... حسب التعليمات . وربُّ العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠].

ويقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] .

فنحن لا نستطيع أن ننصر أنفسنا، وما يدرينا أن يكون ارتكابنا للمعاصي سبب لهزيمتنا النفسية، فيدخل الشخص معهم وما هي إلا خمسة أشهر ستة أشهر والمرتب يرتفع والحيل تنفتح والشيطان يفتح، هكذا يدخل معهم وما هي إلا أيام فإذا بالرجل قد ماع وضاع. إلى آخر كلامه.

وسئل رحمه الله تعالى^(١):

أنت تقول أننا نترك المناصب هذا الذي يريدون مع أن أكثرهم شيوعيون ولماذا لا يكون هناك من الإخوة المسلمين أصحاب مناصب وإلا سوف يكون شيوعياً ليس إسلامياً؟.

الجواب: إذا قمنا بواجب الدعوة الشيوعيون سوف ينهزمون.

وأما مسألة كونك تدخل أنت و تتوظف وتجب في إجاباتك ورئيسك أو مديرك يكتب إليك حسب النظام حسب التعليمات، وهذا نظام وتعليمات مستوردة من قبل أعداء الإسلام، أو نعينك يا أخي مدرساً للبنات، ربما يمشي الشخص وهو يمضي ويفهمن المسألة وهو يمضي أيمني، والله إن طالباً يستفتيني طالب من طلبة الجامعة بصنعاء يستفتيني ويقول: ما حكم المنى؟ قلت كيف؟ قال يحصل اصطدام في الدرج .

(١) إجابة السائل سؤال (١٤١) ص (٢٦٥) .

فلا ينبغي أن نبقي إمعه أنت تحافظ على سلامة قلبك، الرسول **صلى الله عليه وسلم** يقول : « تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءَ ، ... الْحَدِيثُ ».

إلى قوله... يجب علينا أن نناصح المسؤولين فإنهم مسؤولون عن هذا الأمر وفي الحديث: « ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة ». إلى آخر كلامه رحمه الله.

١٥- شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى

قال حفظه الله في شرح لامية ابن الوردي: عند قول ابن الوردي:

لا تَلِ الأَحْكَامَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا رَغْبَةً فِيكَ وَخَالَفَ مَنْ عَدَلَ
إِنَّ نَصْفَ النَّاسِ أَعْدَاءُ لِمَنْ وَلي الأَحْكَامَ هَذَا إِنْ عَدَلَ
فهو كالمحبوس عن لذاته وكلا كفيه في الحشر تُغْلُ

لا تشغل نفسك وأن قالوا: أنت أهل لذلك تكون قاضياً، أو مديراً إلى آخره، تلك الأعمال التي يتقادع عليها الناس كتقادع الفراش.

فأنت طلبك : للعلم خير لك والله من القضاء، وخير لك والله من أن تكون رئيس دولة، والدليل على ذلك قول الله وتعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» .

وقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، وفي رواية «أفضلكم».

وقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ اللهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَأَهْلُ سِوَاتِهِ وَأَرْضُهُ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جِجْرِهَا وَالْحَيْتَانَ فِي الْبَحْرِ لِيَصْلُونَ عَلَى مَعْلَمِ النَّاسِ الْخَيْرِ». اهـ بتصرف^(١)

(١) شرح اللامية (١٤٣-١٤٤).

الفصل السادس

فيمز تقلد الولايات من أهل العلم فذمّ بذلك:

الناظر في كلام السلف فيمن تولى المناصب وخالط السلاطين يجد أنهم كانوا يلمزونهم ويعيبون عليهم مع جلالة أولئك، ومع أنّ كثيرا منهم كانوا يخالطون السلاطين، ولا يتنازلون عن دينهم، ولا يفرطون في طلب العلم والحديث، بخلاف الذين انخرطوا في الولايات في أيامنا من طلاب العلم، فإنهم ضيعوا الخير الذي كانوا عليه، إلا من رحم الله، بل منهم من صار يعادي السنّة وأهلها، لأنّ منصبه ألجأه لمجالسة أهل الباطل، الذين أثروا عليهم، والله المستعان، وإليك جملة ممن عيب عليه الدخول في عمل السلطان ومخالطته:

- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى الْأَنْصَارِيُّ الْكُوفِيُّ، رحمه الله، المتوفى سنة (٨٣):

قال فيه الذهبي رحمه الله في "السير" (١):

الإمام، العلامة، الحافظ. الفقيه.

ومع ذلك فقد ذكره العقيلي في كتابه "الضعفاء" (٢)، وذكر فيه قول إبراهيم النخعي حين سئل عنه فقال: «ذاك صاحب أمراء».

قال الذهبي رحمه الله في "الميزان":

(١) "السير" (٤/٢٦٢)، ط مؤسسة الرسالة .

(٢) "الضعفاء" (٢/٧٤٦-٧٤٧)، ط: دار الصنعي .

عبد الرحمن بن أبي ليلى، من أئمة التابعين وثقاتهم.^(١)

ذكره العُقَيْلي في كتابه متعلقاً بقول إبراهيم النخعي فيه: كان صاحب أمراء، وبمثل هذا لا يلين الثقة. اهـ

قلت: نعم لا يلين يمثل هذا ولكنه غمز فيه.

* * *

٢. عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الْأُمَوِيِّ، أَبُو الْوَلِيدِ، الْمَدَنِيُّ مَرَحِمَهُ اللَّهُ، الْمَتَوَيْفِ

(٨٦):

وقال ابن سعد **مرحمه الله** في ترجمته:

كان عابدا ناسكا قبل الخلافة، وكان قد جالس الفقهاء وحفظ عنهم وكان قليل الحديث^(٢).

وقال المحافظ **مرحمه الله** في "التقريب":

كان طالب علم قبل الخلافة، ثم اشتغل بها فتغير حاله.

بل حصل له ما حصل من الظلم، وسفك الدماء، ولهذا قال الذهبي **رحمته الله** في

"الميزان"^(٣):

(١) "الميزان" (٢/٥١٤)، ط: مؤسسة الرسالة .

(٢) انظر "تهذيب التهذيب" (٢/٦٢٥).

(٣) انظر "ميزان الاعتدال" (٢/٥٧٨).

أنى له العدالة، وقد سفك الدماء، وفعل الأفاعيل؟!!!.

ذكره ابن حبان في "الثقات" وقال:

كان من فقهاء أهل المدينة، وقرائهم، قبل أن يلي ما ولي، وهو بغير الثقات أشبه^(١).

وفي "سير أعلام النبلاء":

قال جرير بن حازم: عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ وَمَا بِهَا شَابَّ أَشَدُّ تَشْمِيرًا وَلَا أَفْقَهُ وَلَا أَنْسَكُ وَلَا أَقْرَأُ لِكِتَابِ اللَّهِ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ. اهـ

والأثر رواه ابن عساکر، ولكن انظر كيف حاله حين تولى الخلافة:

قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ: أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْمُصْحَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَطْبَقَهُ، وَقَالَ: هَذَا آخِرُ الْعَهْدِ بِكَ.

قال الذهبي رحمه الله: اللَّهُمَّ لَا تَمَكِّرْ بِنَا.

وقال الذهبي رحمه الله أيضا:

قُلْتُ: كَانَ مِنْ رِجَالِ الدَّهْرِ، وَدُهَاهَةِ الرِّجَالِ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ مِنْ ذُنُوبِهِ^(٢).

* * *

(١) انظر: "تهذيب التهذيب" (٢/٦٢٥).

(٢) انظر "السير" (٤/٢٤٧-٢٤٩).

٣. حميدُ بنُ هلالِ العدويِّ، أبو نصرِ البصريِّ المتويِّ أخيراً ولاية خالد القصري رحمه الله، وكانت ولايته على العراق ما بين (١٠٥: ١٢٠):

قال الحافظ رحمه الله في "التقريب":

ثقة عالم توقف فيه ابن سيرين لدخوله في عمل السلطان. اهـ وانظر ترجمته من "تهذيب الكمال".

وقال عنه الذهبي رحمه الله في "السير"^(١):

الإمام، الحافظ، الفقيه. اهـ

ومع هذا الثناء فقد غمزَ بها تقدم، وقد روى ابن أبي حاتم أنه ذكر قول ابن سيرين، وأنه كان لا يرضاه، فقال أبو حاتم: دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ عَمَلِ السُّلْطَانِ. فَلِهَذَا كَانَ لَا يَرْضَاهُ، وَكَانَ فِي الْحَدِيثِ ثِقَةً.^(٢)

وأما ابن عدي في "الكامل" فيقول^(٣):

ولحميد بن هلال أحاديث كثيرة وقد حدث عنه الناس والأئمة وأحاديثه مستقيمة والذي حكاها يحيى القطان أن محمد بن سيرين لا يرضاه لا أدري ما وجه فلعله كان لا يرضاه في معنى آخر ليس الحديث وأما في الحديث فإنه لا بأس به وبرواياته. اهـ

* * *

(١) "السير" (٣٠٩/٥).

(٢) "السير" (٣١٠/٥).

(٣) "الكامل في الضعفاء" (٤٠٤/٣)، ط: مكتبة الرشد.

٤. مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شِهَابٍ، أَبُو بَكْرٍ الْقُرَشِيُّ الزُّهْرِيُّ
مرحمه الله، المتوفى سنة (١٢٥) وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين:

قال الذهبي رحمه الله في "السير":

الإمام، العَلَمُ، حَافِظُ زَمَانِهِ. (١)

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "التقريب":

الفقيه الحافظ المتفق على جلالته وإتقانه. (٢)

ومع حفظه وجلالته، لكنه غمز بسبب دخوله على السلاطين، ولهذا روى الحاكم في
"معرفة علوم الحديث"، عن ابن معين أنه سئل:

الْأَعْمَشُ مِثْلُ الزُّهْرِيِّ؟، فَقَالَ: بَرِئْتُ مِنَ الْأَعْمَشِ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ الزُّهْرِيِّ، الزُّهْرِيُّ
يَرَى الْعُرْضَ وَالْإِجَارَةَ، وَكَانَ يَعْمَلُ لِنَبِيِّ أُمِّيَّةٍ."

وَذَكَرَ الْأَعْمَشُ فَمَدَحَهُ، فَقَالَ: «فَقِيرٌ صَبُورٌ مُجَانِبٌ السُّلْطَانَ وَذَكَرَ عِلْمَهُ بِالْقُرْآنِ،
وَوَرَعَهُ».

ولقد أفرط أهل الأهواء من الشيعة والزيدية، في الطعن في الزهري ورد روايته،
وتكذيبه، وألف بعضهم الرسائل في ذلك، وهذا كله باطل، فإن ما تقدم لا يصل بالزهري
إلى هذه المرتبة، فهو إمام ولقد رأيت من أحسن من دافع عنه علامة اليمن محمد بن إبراهيم
الوزير اليماني، في "العواصم والقواصم" وهو يرد على شيخه السيد جمال الدين بن أبي
القاسم، وسنلخص دفاعه هنا لقوته وحسنه، والله المستعان:

(١) "السير" (٣٢٦/٥).

(٢) "التقريب التهذيب" برقم: (٦٢٩٦).

وكان جملة ما غمزوا به الزهري المخالطة للسلطين، وأنه يدلّس، وأنه كان يلبس زي الأجناد، وقد أجاب الصنعاني رحمته الله بما ملخصه:

أولاً: أن الزهري رحمه الله وإن خالط الملوّك، فما كان في هذه المنزلة، - يعني أنه يداهنهم - بل كان عالماً، موحّداً، عدلياً، ثبناً، قوَّالاً بالحق، غير مداهنٍ للملوّك في أمر الدين، والذي يدل على ذلك وجوه:

الوجه الأول: أنه دخل على هشام، بعد قتل زيد بن عليّ عليه السلام، فقال له هشام: إني ما أراني إلا أوبقتُ نفسي، فقال الزهري: وكيف ذاك؟.

فقال: أتاني آتٍ فقال: إنه ما أصاب أحدٌ من دماء آل محمدٍ شيئاً إلا أوبقَ نفسه من رحمة الله. قال: فخرج الزهري وهو يقول: أما والله لقد أوبقت نفسك، وأنت الآن أوبقُ. ^(١)

فهذا الكلام مما يدلُّ على جلالة قدر الرجل، فإنه لا يصدع بقول الحق عند هشام إلا من هو من أهل الديانة والجلالة... الخ

الوجه الثاني: ما رواه يعقوب بن شيبه، وكذا الذهبي في "السير" والمزي في "التهذيب"، أن هشام دخل عليه سليمان بن يسار، فقال: من الذي تولّى كِبْرَهُ؟.

قال: عبد الله بن أبي بن سلول. قال: كذبت، هو علي. من هو يا ابن شهاب؟.

قال: عبد الله بن أبي بن سلول. قال: كذبت هو علي.

قال: أنا أكذب، لا أبا لك؟! فوالله لو ناداني منادٍ من السماء أن الله قد أحل الكذب ما كذبت، حدثني سعيد بن المسيب، وعروة، وعبد الله، وعلقمة بن وقاص، عن عائشة أن الذي تولّى كِبْرَهُ عبد الله بن أبي بن سلول.

(١) ذكره أبو طالب في كتابه: "الأمالي".

قال: فلم يزل القوم يُغرون به حتى قال له هشام: ارحل، فوالله ما ينبغي لنا أن نرحل عن مثلك.

قال: ولم، أنا اغتصبتك على نفسي؟ أنت اغتصبتني على نفسي، فخلّ عني، قال: لا، ولكنك استدنت ألفي ألف. قال: قد علمت وأبوك قبلك أني ما استدنتها عليك، ولا على أبيك. فقال هشام: لا تهيجوا الشيخ. فلما خرج، أمر له هشام بألفي ألف، فأخبر بذلك، فقال: الحمد لله الذي هذا من عنده.

فانظر كيف صدع بالحق مع سطوة هشام ولم يخضع كما يخضع عبيد الدينار والدرهم بل ألقمه الحجج بشجاعة وخشونة، وبيّن أنهم أكرهوه على صحبتهم لا أنه اختار ذلك، ولعل المعترض على الزهري بمداهنة الملوك لو قام في مقامه هذا لارتعدت فرائصه، ورجف فؤاده، ولم يأت بعشر ما أتى به الزهري من الذب عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

الوجه الثالث: ما رواه الذهبي في "السير" عن الزهري، قال: قال لي هشام: اكتب لبيّ بعض أحاديثك، فقلت: لو سألتني عن حديثين ما تابعتُ بينهما، ولكن إن كنت تريد، فادع كاتباً، فإذا اجتمع الناس وسألوني، كتبت لهم.

و لما خرج الزهري جلس، ثم قال: يا أيها الناس، إنا قد كنا منعناكم شيئاً قد بذلناه لهؤلاء، فتعالوا حتى أحدثكم.

فهذا ما يدل على جلاله الزهري حيث امتنع أن يُملي على أولاد هشام إلا بحضرة الناس، و يتضجر من فعلهم، وأنهم يريدوا أن يختصوا بحديثه، ولا يفعل هذا من كان جندياً مداهناً مع السلاطين، بل يصرخ بهذا على أبوابهم، والله المستعان.

الوجه الرابع: أنه لم ينقل أنه أثنى عليهم، ولا تصنع لهم بشيء من سب علي، ولا بغضه ولا سب أحداً من آل البيت، ومن المعلوم أن خدام الملوك وجلسائهم يجاملونهم في الغالب.

الوجه الخامس: لم ينقل أن الزهري طلب الولاية ولا إمارة، ولا شكاً أحد من أهل الدين أن الزهري آذاه أو نافسه في أمر، ولا نقل أنه ظلم أحد من الرعية، أو أعان على ظلمة مع صحبته للملوك ومنزلته عندهم، وهذا دليل على ديانته. اهـ باختصار وتصرف من العواصم والقواصم.^(١)



٥- عاصم بن سليمان الأحول أبو عبد الرحمن البصري رحمه الله المتوفى سنة ١٤٠هـ

قال الحافظ رحمه الله في "التقريب": ثقة ولم يتكلم فيه إلا القطان فكأنه بسبب دخوله في الولاية.

وقال عنه الذهبي رحمه الله في "السير": الإمام الحافظ محدث البصرة.^(٢)

وذكر العقيلي في الضعفاء^(٣): عن أحمد بن سعيد الدارمي، قال: سألت أحمد بن إسحاق، قُلْتُ: ما لو هيب لم يرو عن عاصم الأحول؟ قال: رَأَى مِنْهُ شَيْئًا، أَوْ قَالَ: رَأَيْتَ مِنْهُ شَيْئًا، أَوْ أَنْكَرَ بَعْضَ سَيْرَتِهِ.

(١) (٣/٣٦٠ - ٣٧٢) ط مؤسسة الرسالة.

(٢) السير (١٣/٦).

(٣) "الضعفاء" برقم: (١٣٦٢).

ويقول عبد الله بن إدريس: رَأَيْتَ عَاصِمًا الْأَحُولَ وَالِي السُّوقِ، وَهُوَ يَقُولُ: اضْرِبُوا
رَأْسَ هَذَا النَّبْطِيِّ، لَا أَرُو عَنْهُ شَيْئًا..

و ذكر عاصم الأحول عند يحيى القطان: فقال لم يكن بالحافظ. اهـ

من ضعفاء العقيلي مختصراً.

وذكر ابن عدي في الكامل^(١):

عن سُفْيَانَ قَالَ: كَانَ عَاصِمُ الْأَحُولِ قَدْ وُلِيَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمَكَايِلِ فَكَنتَ آتِيَّ بِنِ شَبْرَمَةَ
فَأَتَخَطَى حَتَّى أَجْلَسَ إِلَيَّ جَنْبَهُ وَيَجِيءُ عَاصِمٌ فَيَلْقِي نَفْسَهُ بَعِيدًا عَنْهُ، فَكَنتَ أَقُولُ: شَيْخٌ مِثْلُ
هَذَا انْظُرْ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ!.

وفي تهذيب التهذيب^(٢):

قال ابن سعد رحمه الله: كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ يَتَوَلَّى الْوِلَايَاتِ، فَكَانَ بِالْكُوفَةِ
عَلَى الْحِسْبَةِ فِي الْمَكَايِلِ وَالْأَوْزَانِ، وَكَانَ قَاضِيًا بِالْمُدَائِنِ لِأَبِي جَعْفَرٍ.

* * *

٦- خَالِدُ بْنُ مُهْرَانَ، أَبُو الْمَنَازِلِ الْبَصْرِيُّ، الْحَدَاءُ مَرَحِمَهُ اللَّهُ، الْمتوفاً سنة (١٤١) هـ،

وقيل (١٤٢) هـ:

(١) "الكامل" لابن عدي (٨/٢٠٦-٢٠٥).

(٢) "تهذيب التهذيب" (٢/٢٥٣).

قال ابن حجر **رحمه الله** في "التقريب" : ثقة يرسل من الخامسة [وقد] أشار حماد ابن زيد إلى أن حفظه تغير لما قدم من الشام وعاب عليه بعضهم دخوله في عمل السلطان

وقال الذهبي **رحمه الله** في "السير" :^(١) الإمام، الحافظ، الثقة.

ومع ذلك كما ترى غمز لدخوله في عمل السلطان.

روى العقيلي عن عباد بن عباد قال: أَرَادَ شُعْبَةُ أَنْ يَضَعَ فِي خَالِدِ الْحَذَاءِ قَالَ: فَاتَيْتُ أَنَا وَحَمَادُ بْنُ زَيْدٍ فَقُلْنَا لَهُ: " مَا لَكَ؟ أَجِنْتَ؟ أَنْتَ أَعْلَمُ وَتَهْدِدُنَاهُ فَأَمْسَكَ.

وروى عن يحيى بن آدم قال: قُلْتُ لِحَمَادِ بْنِ زَيْدٍ: مَا لِحَالِدِ الْحَذَاءِ فِي حَدِيثِهِ؟. قَالَ: " قَدِمَ عَلَيْنَا قَدَمَةٌ مِنَ الشَّامِ فَكَأْنَا أَنْكَرْنَا حِفْظَهُ.

وروى عن ابن عُلَيَّةَ أَنَّهُ كَانَ يَضَعُفَ أَمْرَ خَالِدِ الْحَذَاءِ.

وروى عن مُعْتَمِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي ذَكَرَ خَالِدًا الْحَذَاءَ فَقَالَ: «مَا عَلَيْهِ لَوْ صَنَعَ كَمَا صَنَعَ طَاوُسٌ، كَانَ يَجْلِسُ فَإِنْ أَتَى شَيْءٌ أَخَذَهُ، وَإِلَّا سَكَتَ»^(٢).

وفي "الميزان" : أن خالدا استعمل على القبة ودار العشور بالبصرة^(٣).

قال الحافظ ابن حجر **رحمه الله** في "تهذيب تهذيب"^(٤):

(١) "سير أعلام النبلاء" (٦/ ١٩٠).

(٢) "الضعفاء" للعقيلي برقم (٤٠٣) (٢/ ٣٥١).

(٣) "ميزان الاعتدال" (١/ ٥٩٣).

(٤) "تهذيب التهذيب" (١/ ٥٣٤).

والظاهر أن كلام هؤلاء فيه من أجل ما أشار إليه حماد بن زيد من تغير حفظه بآخره أو من أجل دخوله في عمل السلطان والله أعلم.

* * *

٧. حميد بن أبي حميد الطويل، أبو عبيدة البصري رحمه الله المتوفى سنة (١٤٢) أو

(١٤٣) هـ:

قال المحافظ رحمه الله في "التقريب": ثقة مدلس، وعابه زائدة لدخوله في شيء من أمر الأُمراء.

وفي "ميزان الاعتدال":

وقال يحيى بن يعلى المحاربي: طرح زائدة حديث حميد الطويل.

قال الذهبي قلت: إنما طرحه للبس سواد الخلفاء وزى أعوانهم.

فعن مكى بن إبراهيم، قال: مررت بحميد وعليه ثياب سود، فقال لي أخي: ألا تسمع

منه؟ فقلت: أسمع من الشرطي؟! (١).

و بالنسبة لتدليسه إنما يدل عن أنس، ولا يضر فقد تبين الوساطة بينهما، وأنه ثابت،

فلا يضر. (٢).

* * *

(١) "الميزان" (١/٥٦١)، وانظر "السير" (٦/١٦٥-١٦٦).

(٢) انظر "قرة العين" للأثيوبي (٥١).

٨- عافية بن يزيد بن قيس الأودي، الكوفي، رحمه الله، المتوفى (١٦٠):

قال الحافظ في "التقريب": صدوق تكلموا فيه بسبب القضاء.

قال الذهبي ~ في "السير":

كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، وَمِنْ قُضَاةِ الْعَدْلِ.

وَقَالَ الْخَطِيبُ: كَانَ عَالِمًا، زَاهِدًا، حَكَمَ مُدَّةً عَلَى سَدَادٍ وَصَوْنٍ، ثُمَّ اسْتَعْفَى مِنْ الْقَضَاءِ، فَأَعْفَى^(١).

وفي "تهذيب الكمال":

ضعفه ابن معين في رواية ابن الجنيد، ووثقه في رواية الدوري.

و روى الخطيب له قصة في سبب تركه للقضاء أنه تثبت في حكم، فأهدى له الخصم رطباً، فردّه، وزجره، فلما حاكم خصمه من الغد، قال عافية: لم يستويا في قلبي. ثم حكاها للخليفة، وقال: هذا حالي وما قبلت، فكيف لو قبلت؟! قال: فأعفاه.^(٢)

* * *

٩- شريك بن عبد الله القاضي رحمه الله، المتوفى سنة (١٧٧) هـ وقيل: (١٧٨).

(١) "السير" (٣٩٩/٧).

(٢) "تهذيب الكمال" ترجمة عافية وكذا "السير" المرجع المتقدم.

قال المحافظ **رحمه الله** في التقرّب: صدوق يخطئ كثيرا، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة.

وفي "ميزان الاعتدال"^(١):

وقال ابن المبارك **رحمه الله**: لما استقضى شريك قال سفيان: أي رجل أفسدوا؟.

وفي "التهذيب"^(٢): قال صالح جزرة: شريك صدوق، ولما ولي القضاء اضطرب حفظه.

وقال عنه الذهبي **رحمه الله** في "السير"^(٣):

الْعَلَامَةُ، الْحَافِظُ، الْقَاضِي، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّخَعِيُّ، أَحَدُ الْأَعْلَامِ، عَلَى لَيْنٍ مَا فِي حَدِيثِهِ.

ثم نقل عن وكيع أنه قال: ما كتب عن شريك بعد ما ولي القضاء، فهو عندي على حدة.

وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ: لَمْ أَكْتُبْ عَنْهُ بَعْدَ الْقَضَاءِ غَيْرَ حَدِيثٍ وَاحِدٍ.^(٤)

فانظر كيف زهدوا في حديث هذا الإمام حين شغل بالقضاء، فساء حفظه، والله المستعان.



(١) "ميزان" (٢/٢٥١).

(٢) "تهذيب التهذيب" (٢/١٦٥).

(٣) "السير" (٨/٢٠٠).

(٤) "السير" (٨/٢٠٤).

١٠. إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مِقْسَمٍ الْمَعْرُوفِ بِأَبْنِ عَلِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، الْمَتَوِيءِ

(١٩٣) هـ:

قال الذهبي رحمه الله في السير^(١): إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم، الإمام، العلامة، الحافظ، الثبت، أبو بشر الأسدي مولاهم، البصري الكوفي، الأصل المشهور: بابن عليّة، وهي أمة.

ونقل ابن حجر رحمه الله في التهذيب: عن شعبة، أنه قال: ابن عليّة ريحانة الفقهاء. قال مرة: ابن عليّة سيد المحدثين.

قال أحمد: إليه المنتهى في التثبت في البصرة.

قال غندر: نشأت في الحديث يوم نشأت، وليس أحد يقدم في الحديث على ابن عليّة. يحيى بن معين: كان ثقة، مأموناً، صدوقاً، مسلماً، ورعاً، تقياً.^(٢)

وكان ابن المبارك رحمه الله ينفق عليه، ويقول: لولا خمسة ما تجرت: السفينان، وفضيل، وابن السمك، وابن عليّة، فيصلهم.

فقدم سنه، فقيل له: قد ولي ابن عليّة القضاء، فلم يأت، ولم يصله، فركب إليه ابن عليّة، فلم يرفع له عبد الله رأساً، فأنصرف، فلما كان من الغد، كتب إلى عبد الله رقة يقول: قد كنت منتظراً لبرك، وحيثك فلم تكلمني، فما رأيت مني؟

فقال ابن المبارك: يابى هذا الرجل إلا أن نقسر له العصا.

(١) السير (١٠٧/٩).

(٢) تهذيب التهذيب (١٤٠/١).

ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ:

يَا جَاعِلَ الْعِلْمِ لَتُهُ بَازِيَاً يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
 اخْتَلَتْ لِلدُّنْيَا وَلَدَائِمَهَا بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّينِ
 فَصَرْتَ مَجْنُونًا بِهَا بَعْدَمَا كُنْتَ دَوَاءً لِلْمَجَانِينِ
 أَيْنَ رِوَايَاتِكَ فِي سَرْدِهَا عَنِ ابْنِ عَوْنٍ وَابْنِ سِيرِينَ
 أَيْنَ رِوَايَاتِكَ فِيهَا مَضَى فِي تَرْكِ أَبْوَابِ السَّلَاطِينِ
 إِنْ قُلْتَ أَكْرَهُتُ فَمَاذَا كَدَا زَلَّ حِمَارُ الْعِلْمِ فِي الطِّينِ

فلما وقف على هذه الأبيات قام من مجلس القضاء، فوطئ بساط الرشيد، وقال: الله الله!
 ارحم شيتي، فإني لا أصبر على الخطأ.

قال: لعل هذا المجنون أغرى عليك! ثم أعفاه، فوجه إليه ابن المبارك بالبصرة.

وقيل: إن ابن المبارك رحمه الله كتب له بهذه الأبيات لما ولي صدقات البصرة، وصححه
 الحافظ في التهذيب^(١)

فلم يشفع لابن عليه جلالته ولا إمامته بل غمز بمجرد توليه هذا المنصب والله
 المستعان.

وغير هؤلاء كثير وإنما هذا مجرد أمثلة وفيه الكفاية والعبرة لمن كان له قلب أو ألقى
 السمع وهو شهيد.



(١) انظر "ميزان الاعتدال" (١/٢١٨-٢١٩)، و"السير" (٩/١١٠)، و"تهذيب التهذيب" (١/١٤١).

الفصل السابع

أقسام من خالط السلاطين وتولى المناصب:

المخالطون للسلاطين والمتصدرون لذلك يختلفون في ذلك بحسب نياتهم، ونوع مخالطتهم، والغرض من تلك المخالطة، وقد ذكر أهل اعلم أقساما لتلك المخالطة، وهي:

١- أن المخالطة لبيان ما يجب عليه من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم الوالي شريعة الله، فهذه المخالطة واجبة على أهل العلم، تجاه الوالي وغيره، نقل عليها الاتفاق ابن الأمير في رسالته: "إزالة التهمة" أي الاتفاق على وجوبها، ويبيّن أن هذا عمل الأنبياء والرسل، ومن سلك سبيلهم^(١).

٢- أن يخالطهم اتقاء شرهم على نفسه، أو ماله أو عرضه، وهذا جائز، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقد يكون واجبا، والآية في الكافرين، فبالأولى في مسلم ظالم^(٢).

٣- مخالطتهم للقرابة أو رحامة، فهذا جائز بلا خلاف، لقوله تعالى: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].^(٣)

(١) انظر: "رسائل ابن الأمير" (٤٣٨)، ط مكتبة أولاد الشيخ.

(٢) انظر "إزالة التهمة" (٤٣٩)، و"العواصم والقواصم" لابن الوزير (٣/٣٣٨).

(٣) "العواصم والقواصم" (٣/٣٣٨)، و"إزالة التهمة" (٤٣٩).

٤- أن يخالطهم في المعاملات الدنيوية كالبيع والشراء منهم، وهذا جائز بالاتفاق، ودليل ذلك البيع والشراء بين الصحابة واليهود، بل مات النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ودرعه مرهونة عند يهودي.^(١)

٥- المخالطة لأخذ مما في يده من بيوت المال وحقوق المسلمين فهذا نقص من مرتبة الزهادة، وشين في أهل العلم والعبادة،... الخ^(٢)

٦- المخالطة للمصالح المتعلقة بالعامّة من الشفاعة للفقراء، والتبليغ بالمظلومين أو نحو ذلك، وهذا يكون مستحباً غير مكروه. قاله ابن الوزير في "العواصم"^(٣) (٣/٣٣٧)، واستدل بحديث: « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ». و بحديث «الدين النصيحة».

٧- المخالطة لأجل الجهاد والغزو معهم للكفار، وقد فعل ذلك غير واحد من الصحابة والتابعين وغيرهم من خيار المسلمين، بل قد قام العلماء والفضلاء مع المختار بن أبي عبيد.^(٤)

٨- أن يخالطهم ليعينهم على ظلمهم و يشي بالناس إليهم، ليقول هؤلاء فعلوا، وهؤلاء تركوا، وربما يكون كاذباً، وهذا لاشك أنه مشارك لهم في الظلم، بل قد يكون أظلم، حيث يدلهم على ما لا حقيقة له^(٥).

(١) "إزالة التهمة" (٤٣٩).

(٢) "العواصم والقواصم" (٣/٣٩)، و "إزالة التهمة" (٤٣٩).

(٣) "العواصم والقواصم" (٣/٣٣٧).

(٤) "العواصم" (٣/٣٣٨).

ومع ذلك فغالبا الأقسام المتقدمة مع مرور الزمن و المخالطة يصير أمرهم إلى موافقة السلاطين على الباطل، أو في أقل الأحوال السكوت عن المنكر، وهذا هو الملاحظ ممن خالط السلاطين في زماننا، ممن كان حجتهم في أول الأمر إنكار المنكر والأمر بالمعروف، والنصيحة عن قرب، فتبدلت الأحوال لما كثر النوال، فصار المعروف منكرا، والمنكر معروفا، ونسي القواعد عند كثرة الموائد، وإلى الله المشتكى، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



الفصل الثامن :

شبه من ترك العلم وتولى المناصب

ما من صاحب باطل أو مرید للولوج فيه إلا وبحث له عن شبهة يتعلق بها، وحاول أن يلوي أعناق الأدلة، ويذلها لتزيين باطله، وحاول أن يأتي بالحجج العقلية التي يستدل بها على صلاحه وخيره، مهما بلغ بعده وانحرافه، فهذا إبليس لما أمره الله أن يسجد لآدم مع الملائكة قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

ولما وسوس لآدم أن يأكل من الشجرة قال له: ﴿يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُؤُا﴾ [طه: ١٢٠].

وهكذا أهل الباطل في كل زمان فهذا فرعون يظهر نفسه في صورة الناصح المشفق على قومه وأن موسى بالمقابل هو المفسد ولهذا قال الله ﷻ عنه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

وقال الله عز وجل عنه أنه قال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

وكم من مبطل زين باطله للناس فتبعه الفئام، ولو ظهر لهم على حقيقته لابتعدوا عنه وقلوه.

وبعد هذا فإن الذين ولجوا أبواب السلاطين، وسعوا للوصول إلى المناصب والرياسات ممن عرفوا السنة وذاقوا حلاوتها، وطلبوا العلم دهرًا، ربما يتعلقون بشبه واهية

على سوء صنيعهم وقبح طريقتهم، كالغريق يتشبث بطحلب ابتغاء النجاة، ولهذا سنذكر بعض شبه القوم مع الرد عليها باختصار .

الشبهة الأولى:

يقولون أن الله ذكر عن يوسف عليه السلام أنه طلب الولاية ولو كانت مذمومة ما طلبها حيث قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي، فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥] .

وليس في هذه الآية دليل لهم وإليك كلام أهل العلم في تفسير الآية قال ابن عطية في "المحرر الوجيز" عند الآية: قال بعض أهل التأويل: في هذه الآية ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فصل ما لا يعارض فيه، فيصلح منه ما شاء وأما إن كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهوته وفجوره، فلا يجوز له ذلك.

قلت: فيا ترى هل هؤلاء الذين يسعون للمناصب يفتح لهم المجال بإقامة الشريعة؟ كلا بل إن أحدهم ما إن يتحصل على نجمة أو نجمتين إلا ورأيته يتصور ويخالط النساء وربما يقسم على الدساتير المخالفة للشريعة أنه سيطبقها فأين الثرى من الثريا.

وقال ابن عطية أيضاً: وطلب يوسف للعمل إنما هي حسبة منه عليه السلام لرغبته في أن يقع العدل، ونحو هذا هو دخول أبي بكر الصديق في الخلافة ... فجائز للفاضل أن يعمل وأن يطلب العمل إذا رأى ألا عوض منه. الخ

وذكر القرطبي الجمع بين الآية والأحاديث القاضية في عدم سؤال الإمارة في تفسيره

فقال:

أَوَّلًا: أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا طَلَبَ الْوِلَايَةَ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ لَا أَحَدَ يَقُومُ مَقَامَهُ فِي الْعَدْلِ وَالْإِصْلَاحِ وَتَوْصِيلِ الْفُقَرَاءِ إِلَى حُقُوقِهِمْ فَرَأَى أَنَّ ذَلِكَ فَرَضٌ مُتَعَيِّنٌ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غَيْرُهُ.

قلت : فهل هؤلاء المتهافتون على المناصب كالذباب على المزابل من هذا النوع، ويعلمون من أنفسهم ذلك.

الثاني: أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: إِنِّي حَسِيبٌ كَرِيمٌ، وَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ [ابْنُ الْكَرِيمِ] يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ" وَلَا قَالَ: إِنِّي جَمِيلٌ مَلِيحٌ، إِنَّمَا قَالَ: "إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ" فَسَأَلَهَا بِالْحِفْظِ وَالْعِلْمِ، لَا بِالنَّسَبِ وَالْجَمَالِ.

الثالث: إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ عِنْدَ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ فَأَرَادَ تَعْرِيفَ نَفْسِهِ، وَصَارَ ذَلِكَ مُسْتَشْتَى مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: "فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ".

الرابع: أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ فَرَضًا مُتَعَيِّنًا عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غَيْرُهُ، وَهُوَ الْأَظْهَرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ^(١)

قال السعدي رحمه الله في تفسير الآية: ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾ أي: حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصا من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه.

فلذلك طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، فجعله الملك على خزائن الأرض وولاه إياها.

(١) انظر تفسير القرطبي (٥/ ١٩٥-١٩٦) ط: دار الحديث .

قلت: فمن يتصدر للمنصب هل سيقوم بنحو ما ذكر يوسف عليه السلام، وهل صار الناس لا يجدونه إلا هو حتى يضيع ما عنده من الخير والسنة.

وقال الشوكاني رحمه الله في "نيل الأوطار"^(١): في معنى الحديث « وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكِلْتَا إِلَيْهَا»، قال: وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّ مَنْ طَلَبَ الْإِمَارَةَ فَأُعْطِيَهَا تَرَكْتَ إِعَانَتَهُ عَلَيْهَا مِنْ أَجْلِ حِرْصِهِ. وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا أَنَّ طَلَبَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْحُكْمِ مَكْرُوهٌ، فَيَدْخُلُ فِي الْإِمَارَةِ الْقَضَاءِ وَالْحِسْبَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَأَنَّ مَنْ حَرَّصَ عَلَى ذَلِكَ لَا يُعَانُ.

وَيُعَارِضُ ذَلِكَ فِي الظَّاهِرِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ الْمَذْكُورُ فِي آخِرِ الْبَابِ.

ويعني حديث: «مَنْ طَلَبَ قَضَاءَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَنَالَهُ ثُمَّ غَلَبَ عَدْلُهُ جَوْرُهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ غَلَبَ جَوْرُهُ عَدْلُهُ فَلَهُ النَّارُ»، وهو ضعيف.

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢):

وَيُجْمَعُ بَيْنَهُمَا أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مَنْ كَوَّنَهُ لَا يُعَانُ بِسَبَبِ طَلَبِهِ أَنْ لَا يَخْضَلَ مِنْهُ الْعَدْلُ إِذَا وَبَى أَوْ يُحْمَلُ الطَّلَبُ هُنَا عَلَى الْقَصْدِ وَهُنَا عَلَى التَّوَلِيَّةِ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَإِذَا كَانَ الطَّالِبُ مَسْلُوبَ الْإِعَانَةِ تَوَرَّطَ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ وَخَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ فَلَا مَحْلٌ تَوَلِيَّةٍ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ رَبِّهَا كَانَ الطَّالِبُ لِلْإِمَارَةِ مُرِيدًا بِهَا الظُّهُورَ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَالتَّنْكِيلَ بِهِمْ فَيَكُونُ فِي تَوَلِيَّتِهِ مَفْسَدَةٌ عَظِيمَةٌ.

(١) "نيل الأوطار" (١٥/٤٠٨-٤٠٩)، ط: دار ابن الجوزي .

(٢) في فتح الباري (١٣/١٢٤) .

قَالَ ابْنُ التَّيْنِ: مُحْمُولٌ عَلَى الْغَالِبِ وَإِلَّا فَقَدْ قَالَ يُوسُفُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٥] وَقَالَ سُلَيْمَانُ ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ [ص: ٣٥] قَالَ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فِي غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - أَنْتَهَى.

قُلْتُ: ذَلِكَ لِوُثُوقِ الْأَنْبِيَاءِ بِأَنْفُسِهِمْ بِسَبَبِ الْعِصْمَةِ مِنَ الذُّنُوبِ.

وَأَيْضًا لَا يِعَارِضُ الثَّابِتَ فِي شَرْعِنَا مَا كَانَ فِي شَرْعِ غَيْرِنَا، فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الطَّلَبُ فِي شَرْعِ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - سَائِعًا

وَأَمَّا سُؤَالُ سُلَيْمَانَ فَخَارِجٌ عَنْ مَحَلِّ النَّزَاعِ، إِذْ مَحَلُّهُ سُؤَالُ الْمُخْلُوقِينَ لَا سُؤَالُ الْخَالِقِ، وَسُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِنَّمَا سَأَلَ الْخَالِقَ.



الشبهة الثانية:

يقول أولئك المخدوعون لو تركنا المناصب والوظائف الحكومية لتولاها الفجرة والعلمانيون والاشتراكيون والفسقة ولزاد الشر فهو من باب ارتكاب أخف الضررين .

أقول: يا سبحان الله ومن الذي اضطركم إلى هذين الأمرين وأنتم في سعة من أمركم .

وقد تقدم كلام شيخنا مقبل بن هادي الوادعي رحمته الله حول هذه الشبهة .

ثم يقال لهم : درء المفسد مقدم على جلب المصالح قاعدة معروفة عند أهل العلم، فمن أذن لك أن تقع في المخالفات الشرعية، لأجل إصلاح الرعية، وأي إصلاح يرتجى من رجل يعصي الله على بصيرة، وأي توفيق يجالفه .



الشبهة الثالثة:

يقول بعضهم قد أفتى بعض أهل العلم بذلك.

فنقول: يا سبحان الله!! ألم يقل الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

ويقول الله ﷻ: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

وقد علمت مفسدات مقاربة السلاطين على أهل الصلاح والدين - وخصوصاً في هذه العصور التي ساءت فيها أحوال الدول، بما لا مجال للإنكار، فلا تتعلقوا بخيوط العنكبوت وتحاطروا بدينكم الحنيف فإن السلامة لا يعدلها شيء .



الشبهة الرابعة:

يقولون ما المانع من تولي المناصب مع البقاء على المنهج الصحيح وعدم الانحراف عنه

الجواب عن هذا:

قال الشوكاني رحمه الله في "أدب الطلب": ^(١) تحت عنوان :

[ثانياً: تزلف بعض العلماء للسلطة وإخضاع الدين لهواه طمعاً في المال والمناصب]:

وَمِنْ جَمَلَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَتَسَبَّبُ عَنْهَا تَرْكُ الْإِنْصَافِ وَيَصْدُرُ عَنْهَا الْبُعْدُ عَنِ الْحَقِّ وَكُتْمِ الْحُجَّةِ وَعَدَمِ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ مِنَ الْبَيَانِ حُبِّ الشَّرْفِ وَالْمَالِ اللَّذِينَ هُمَا أَعْدَى عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ ذَنْبَيْنِ ضَارِيَيْنِ كَمَا وَصَفَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ هَذَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي حَرَفَ بِهِ أَهْلَ الْكِتَابِ كِتَابَ اللَّهِ الْمُنزَلَةَ عَلَى رِيسَلِهِ وَكُتِمُوا مَا جَاءَهُمْ فِيهَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى كَمَا وَقَعَ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَأَخْبَرَنَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الثَّابِتِ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ.

وَبِهَذَا السَّبَبِ بَقِيَ مِنْ بَقِي عَلَى الْكُفْرِ مِنَ الْعَرَبِ وَعَظِيمِهِمْ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَظُهُورِ الْحَقِّ لَهُمْ وَبِهِ نَافِقٌ مِنْ نَافِقٍ وَوَقَعَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِذَلِكَ السَّبَبِ عَجَائِبُ مَوْدَعَةٍ بَطُونِ كِتَابِ التَّارِيخِ وَكَمْ مِنْ عَالٍ قَدْ مَالَ إِلَى هَوَى مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ فَوَافَقَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ وَحَسَنَ لَهُ مَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ وَتَظَهَرَ لَهُ بِمَا يَنْفَقُ لَدَيْهِ مِنَ الْمَذَاهِبِ .

بل قد وضع بعض المحدثين للملوك أحاديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما وقع من وهب بن وهب وأبو البخترى مع الرشيد ووقع من آخر في حديث: « لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل»، فزاد في الحديث: «أو جناح» موافقة للملك الذي رآه يلعب بالحمام ويسابق بينها.

ووضع جماعة مناقب لقوم وآخرون مثالب لآخرين لا حائل لهم على ذلك إلا حب الدنيا والطمع في الحطام والتقرب إلى أهل الرئاسة بما ينفق لديهم ويروح عليهم، نسأل الله الهداية والحماية من الغواية.

(١) أدب الطلب (٨٦ - ٨٧) ط: دار الكتب العلمية.

ثم ذكر الشوكاني رحمه الله قصة حصلت له مع رجل ينسب للعلم أن الخليفة جمعهم ومنهم الشوكاني وهذا الرجل فاستشارهم فأشار الآخر بما يهوى الخليفة إلى أن قال :

وَهَكَذَا جرت عَادَةُ الله في عباده فَإِنَّهُ لَا يَنَال من أَرَادَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ إِلَّا وبِالآ وخسرانا عَاجِلًا أم آجِلًا خُصُوصًا من كَانَ من الحَامِلِينَ لحِجَّةِ الله المأمورين بِإبلاغِهَا إِلَى العِبَادِ فَإِن خَيْرِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَرْبُوطٌ بِوَقُوفِهِ عَلَى حُدُودِ الشَّرِيعَةِ فَإِن زَاغَ عَنْهَا زَاغَ عَنْهُ وَقَدْ صرَحَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِمَا يُفِيدُ هَذَا فِي غير مَوْضِعٍ من كِتَابِهِ العَزِيزِ .

فَأَنْتَ أَيُّهَا الحَامِلُ للعلم لَا تَزَالِ بِخَيْرٍ مَا دَمْتَ قَائِمًا بِالحِجَّةِ مرشداً إِلَيْهَا نَاشِرًا لَهَا غير مُسْتَبَدِلٍ بِهَا عَرَضًا من أَعْرَاضِ الدُّنْيَا أو مَرَضًا من أَهْلِهَا. اهـ

قلت: ومن هذا يتبين لك أن مخالطة السلاطين سبيل للتنازل عن الحق قرب الوقت أم بعد إلا من رحم الله .

وقال الشوكاني رحمه الله:

وَمِنْهُمْ من يترك التَّكَلُّمَ بِالْحَقِّ مُحَافِظَةً عَلَى حَظٍّ قد ظفر بِهِ من تِلْكَ الدَّوْلَةِ من مَالٍ وَجَاهٍ وَقَدْ يترك التَّكَلُّمَ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ خِلافُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ استِجْلَابًا لِحُوطِ العَوَامِ ومُخَافَةً من نفورهم عَنْهُ وَقَدْ يترك التَّكَلُّمَ بِالْحَقِّ لطمعٍ يَظُنُّهُ ويرجو حُصُولَهُ من تِلْكَ الدَّوْلَةِ أو من سَائِرِ النَّاسِ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَانِ كمن يطمع في نيلِ رِئَاسَةِ من الرِّئَاسَاتِ ومَنْصِبٍ من المَنَاصِبِ كائِنًا مَا كَانَ ويرجو حُصُولَ رِزْقٍ من السُّلْطَانِ أو أَيِّ فَائِدَةٍ فَإِنَّهُ يَخَافُ أن تَفُوتَ عَلَيْهِ هَذِهِ الفَائِدَةُ المَظنُونَةُ والرِّئَاسَةُ المَطْمُوعُ فِيهَا فيتَظَهَرُ بِمَا يُوَافِقُ النَّاسَ ويتفق عندهم ويميلون إِلَيْهِ لِيَكُونَ لَهُ ذَلِكَ ذَخِيرَةً وَيَدَأُ عِنْدَهُم يَنَالُ بِهَا عَرَضَ الدُّنْيَا الَّذِي يَرِجُوهُ. اهـ^(١)

بل إن مخالطة السلاطين والأخذ من نواهم سبيل لتضييع العلم والضعف فيه.

(١) أدب الطلب ص (٢٩) .

ولهذا يقول ابن عيينة **رحمه الله** : كنت قد أوتيت فهم القرآن، فلما قبلت الصّرة من أبي جعفر سُلبته. ^(١)

فكم من حافظ للقرآن قارب السلطان فنسيه وأعرض عن قراءته، فضلاً عن أن يدعو إليه والله المستعان .

ثم إنه يفتن بالدنيا ويستدرج وإذا طعم النوال نسي الكمال.

قال الشافعي **رحمه الله** : من ولي القضاء ولم يفتقر فهو لص. ^(٢)



الشبهة الخامسة :

يقولون وجد من السلف من دخل في عمل السلاطين مع جلالتهم وعلو قدرهم، ووفور علمهم، ومعرفتهم بالسنن والآثار، والجواب عن هذه الشبهة من وجهين :

أولاً: إنّ هذا الفعل من هؤلاء الأجلّة، قد قوبل بالإنكار من آخرين، وهم كثير، وإذا حصل الخلاف فالحكم شرع الله، وقد تقدمت الأدلة في ذلك بما يكفي.

الثاني: السلف الذين ذكر عنهم أنهم دخلوا في عمل السلاطين كانوا أهل زهد وتقى، ونصح، وليسوا أهل دنيا وجهل، والأمراء في تلك الأزمان، كان حالهم حسن، من حيث حبّ العلم، وتبجيل أهله، والأخذ بمشورتهم، والاستفادة منهم، بل كان بعض الخلفاء والأمراء يتمنى أن يحضر حلقات العلم مع طلبة الحديث وحملته، لولا شغلهم بالولايات.

(١) رواه الخطيب في "الجامع برقم (٨٤٣).

(٢) "مناقب الشافعي للبيهقي" (٢/٢٠٣)، و"تهذيب الأسماء واللغات" للنووي (١/١٨٤)، ط : دار

أما نحن اليوم فإلى الله المشتكى من قلة العلم، وكثرة الجهل، والميل إلى الدنيا، والطمع فيها، وبالمقابل الولاة في زماننا إلا من رحم الله، بعيدون عن العلم، يميلون إلى شهوات الدنيا، وتقليد أعداء الإسلام، فربما جمع أحدهم ما يسمى بالعلماء ليناقدش معهم بعض المحرمات القطعية في الشريعة الإسلامية، وقلّ من يقرب أهل العلم والدين إليه ليستفيد منه وينتفع بعمله، ولكن ليستعمله في سياغة الفتاوى التي تناسب ملكه، وكرسيه، والله المستعان.

وانظر رسالة شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله التي هي بعنوان:
"النصيحة المحتومة لقضاة السوء وعلماء الحكومة"

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا واجتباننا، ومن كل بلاء حسن أبلانا، نحمده أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ومن تلك النعم الهداية للسنّة، ومعرفة طريق السلف، والسير في درب العلم والتعلم، ونسأل الله الثبات على ذلك، وكم كان النبي **صلى الله عليه وسلم** يقول: «يا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ»، ويقول **ﷺ**: «رَبِّ أَعْيِي وَلَا تُعِنُّ... الحديث».

وكان **صلى الله عليه وسلم** يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالعِنْيَ... الحديث».

فمن عرف الطريق فليحمد الله وليسر عليه ولينظر يمنة ويسرة فيرى المتقاعين في الطريق المقطوعين عن الخير المحرومين من هذا السير، فيزداد عزمه وثباته، ويقوى يقينه، ويعلم أن ما يعيشه العاطلون عن العلم من زخارف الدنيا فإنها هو كظل زائل وعمّا قريب ينتهي، يقول **عز وجل**: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (١٧٧) ﴿آل عمران﴾.

ويقول **سبحانه وتعالى**: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢١٢) ﴿البقرة﴾.

هذا وقد جاءت هذه الأوراق مساهمة مني في نصح أخواني طلاب العلم أن يحافظوا على الخير الذي جباهم الله به والصبر على ذلك، وهي جهد مقل فإن أحسنت فمن الله

وتوفيقه، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان والله ورسوله بريئان من ذلك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه بقلمه الفقير إلى عفوره :
أبو معاذ حسين بن محمود الحطبي اليافعي -
عصر يوم الأحد ١٦/ صفر ١٤٣٩هـ
في دار الحديث بصلاح الدين - في مدينة عدن
حرسها الله وسائر بلاد أهل الإسلام.

المحتويات

٣	المقدمة.....
٧	الفصل الأول.....
٧	فضل العلم ومنزلة العلماء.....
١٢	الفصل الثاني.....
١٢	فتنة الدنيا وحطامها.....
١٧	الفصل الثالث.....
١٧	الأحاديث الواردة في ذم الولايات والقرب من أهلها ومحالطتهم.....
١٧	الحديث الأول:.....
١٩	الحديث الثاني:.....
٢١	الحديث الثالث :.....
٢٢	الحديث الرابع:.....
٢٤	الحديث الخامس :.....
٢٥	الحديث السادس :.....
٢٦	الحديث السابع:.....
٢٧	الحديث الثامن.....
٢٩	الحديث التاسع :.....
٣٠	الحديث العاشر :.....
٣١	الحديث الحادي عشر:.....
٣٢	الحديث الثاني عشر:.....
٣٣	الحديث الثالث عشر:.....
٣٦	الحديث الرابع عشر :.....

- ٣٧..... الحديث خامس عشر:
- ٣٨..... الحديث السادس عشر:
- ٣٩..... الحديث السابع عشر:
- ٤٠..... الحديث الثامن عشر:
- ٤١..... الحديث التاسع عشر:
- ٤٢..... الحديث العشرون:
- ٤٣..... الحديث الحادي والعشرون:
- ٤٤..... الحديث الثاني والعشرون:
- ٤٥..... الفصل الرابع.....
- ٤٥..... بعد السلف عن الولايات وأهلها:
- ٥٣..... الفصل الخامس.....
- ٥٣..... «كلام العلماء والتحذير من التطلع للمناصب وترك العلم»
- ٩٧..... الفصل السادس.....
- ٩٧..... فيمن تقلد الولايات من أهل العلم فذم بذلك:
- ١١٢..... الفصل السابع.....
- ١١٢..... أقسام من خالف السلاطين وتولى المناصب:
- ١١٥..... الفصل الثامن:
- ١١٥..... شبه من ترك العلم وتولى المناصب.....
- ١٢٥..... الخاتمة.....